سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (١٠٥)

برنامج مهمات العلم

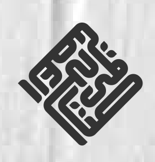
# شرح
# كشف الشبهات

(شرح مختصر)

تصنيف شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

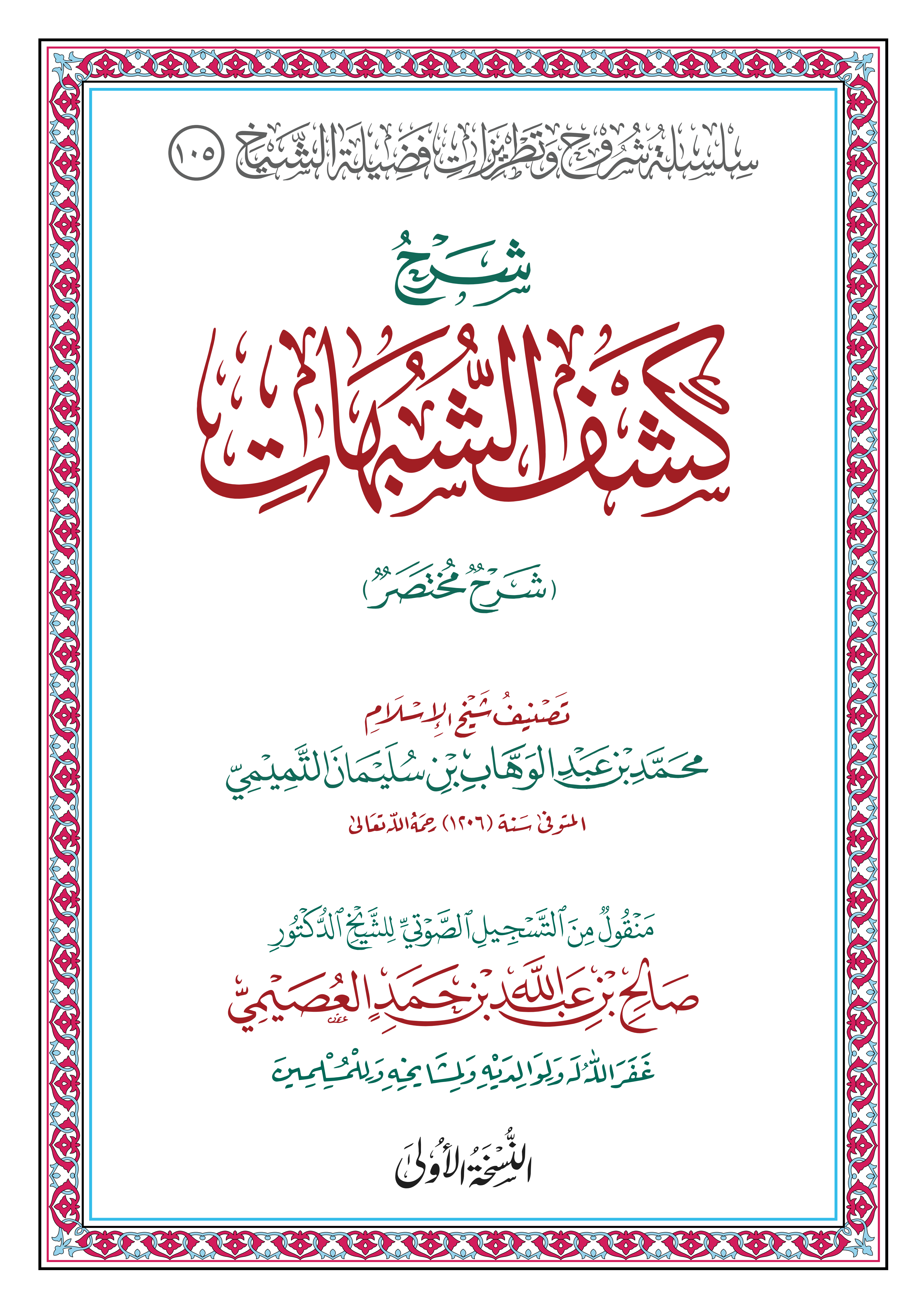


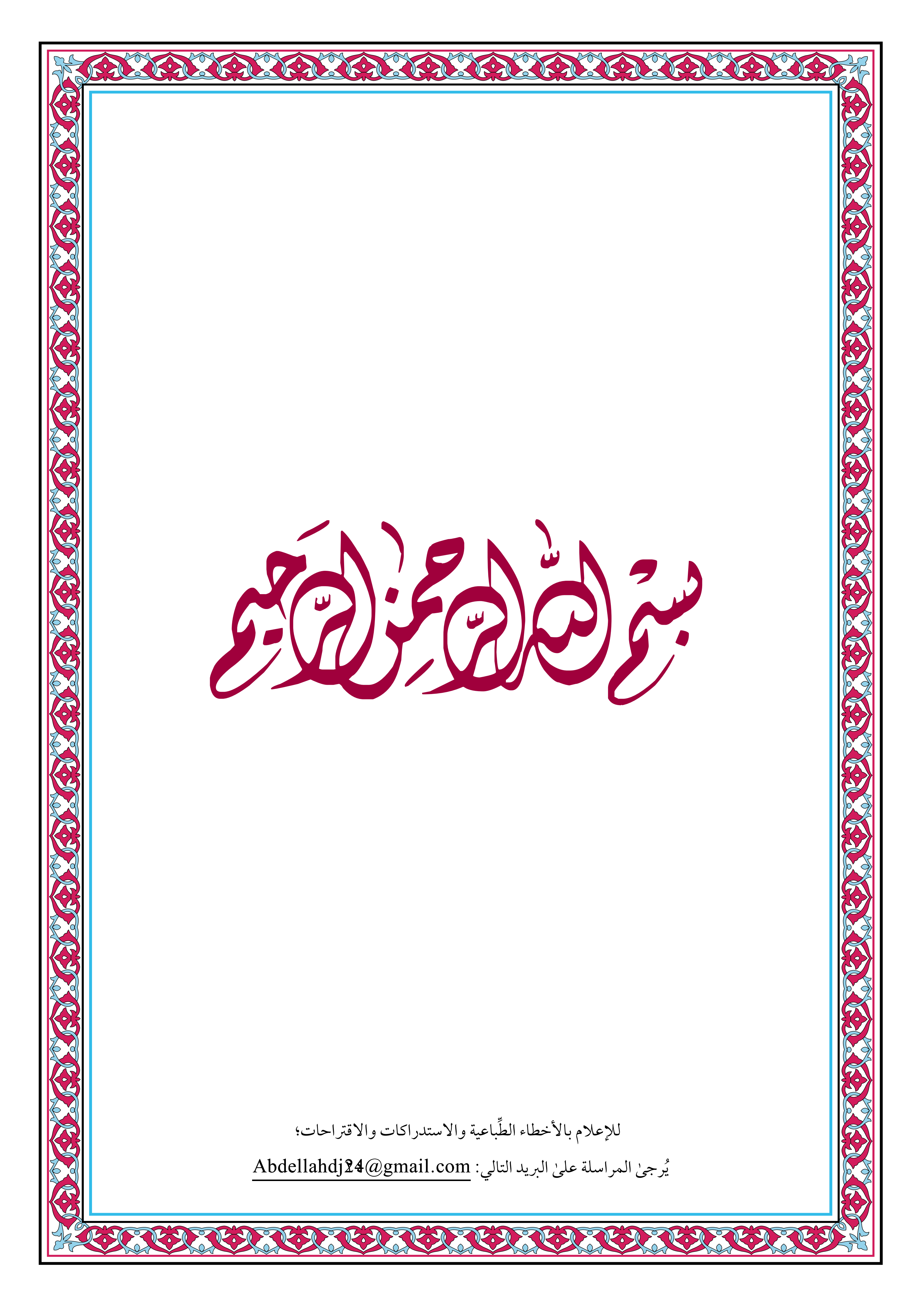
منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



النسخة الأولى


شرح
كشف الشبهات
(شرح مختصر)


سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (١٠٥)
شرح
كشف الشبهات
(شرح مختصر)
تصنيف شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى
منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين
النسخة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛
يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com

الحمد لله الَّذي صيَّر الدِّين مراتبَ ودرجاتٍ، وصيَّر للعلم به أصولًا ومهمَّاتٍ، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله حقًّا، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسولُه صدقًا.

اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهمَّ بارِك على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

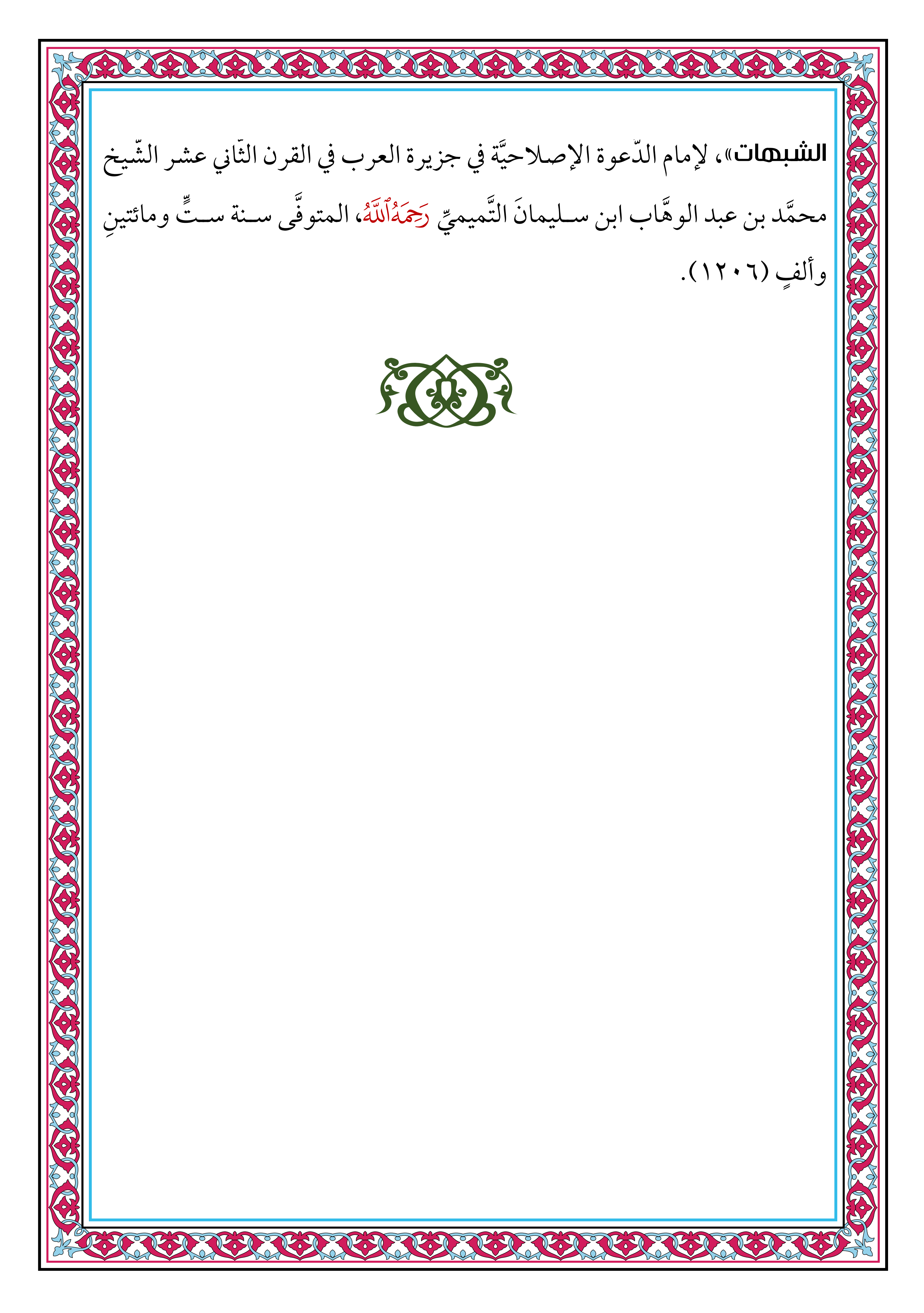
أمَّا بَعْدُ:

فحدَّثني جماعةٌ من الشُّيوخ - وهو أوَّل حديثٍ سمعتُه منهم - بإسنادِ كلٍّ إلى سفيانَ بن عُيَيْنَةَ، عن عمرِو بن دينارٍ، عن أبي قابوسَ - مولى عبد الله بن عمرٍو -، عن عبد الله بن عمرو بن العاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنَّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

ومِن آكَد الرَّحمة: رحمة المعلِّمين بالمتعلِّمين، في تلقينهم أحكام الدِّين، وتَرقيَتِهم في منازل اليَقين.

ومن طرائق رحمتِهم: إيقافُهم على مُهمَّات العلم، بإقراء أصول المتون، وتبيين مقاصدها الكلِّيَّة، ومعانيها الإجماليَّة؛ ليستفتحَ بذلك المبتدئون تَلَقِّيَهم، ويجدَ فيه المتوسِّطون ما يُذكِّرهم، ويَطَّلِع منه المنتهون إلى تحقيق مسائل العلم.

وهذا شرح (**الكتاب الخامس**) من برنامج (**مهمَّات العلم**) في (**سنته الثانية عشرة**)، اثنتين وأربعين بعد الأربعمائة والألف، وهو كتاب «**كشف**



**الشبهات**»، لإمام الدّعوة الإصلاحيَّة في جزيرة العرب في القرن الثّاني عشر الشّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ابن سليمانَ التَّميميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفَّى سنة ستٍّ ومائتينِ وألفٍ (١٢٠٦).

## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

# بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم - رحمك الله - أنَّ التَّوحيد هو إفراد الله سُبْحَانَهُ بالعبادة، وهو دين الرُّسل الَّذي أرسلهم الله عَزَّوَجَلَّ به إلى عباده.

فأوَّلهم: نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أرسله الله إلى قومه لمَّا غَلوا في الصَّالحين: وَدٍّ، وسُوَاعٍ، ويَغوثَ، ويَعوقَ، ونَسْرٍ.

وآخر الرُّسل: محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهو الَّذي كسَّر صور هؤلاء الصَّالحين، أرسله الله إلى أناسٍ يتعبَّدون ويحجُّون ويتصدَّقون ويذكرون الله كثيرًا، ولكنَّهم يجعلون بعض المخلوقين وسائطَ بينهم وبين الله عَزَّوَجَلَّ، يقولون: نُريد منهم التَّقرُّب إلى الله تَعَالَى، ونريد شفاعتَهم تَعَالَى؛ مثل: الملائكة، وعيسى، ومريمَ، وأناسٍ غيرهم من الصَّالحين.

فبعث الله تَعَالَى محمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجدِّد لهم دينهم؛ دين أبيهم إبراهيمَ، ويخبرهم أنَّ هذا التَّقرُّب والاعتقاد محض حقِّ الله تَعَالَى، لا يصلح منه شيءٌ لغيره، لا لملكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسَلٍ، فضلًا عن غيرهما.

وإلَّا فهؤلاء المشركون الَّذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشهدون أنَّ الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنَّه لا يرزق إلَّا هو، ولا يحيي ولا يميت إلَّا هو، ولا يدبِّر الأمر إلَّا هو، وأنَّ جميع السَّماوات السَّبع ومَن فيهنَّ، والأرضين السَّبع ومن فيهنَّ؛ كلُّهم عبيده وتحت تصرُّفه وقهره.



## قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ابتدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابَه بالبَسملة مقتصِرًا عليها؛ اتِّباعًا للوارد في السُّنَّة النَّبويَّة في مُكاتباته ومُرَاسلاته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى الملوك، والتَّصانيف تجري مَجْراها.

ثمَّ بَيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة (التَّوحيد)؛ فقال: (اعلم - رحمك الله - أنَّ التَّوحيد هو إفراد الله سُبْحَانَهُ بالعبادة)؛ وهذا المعنى هو المراد عند الإطلاق في خطاب الشَّرع.

**فإنَّ (التَّوحيد) شرعًا له معنيان:**

- **أحدهما**: عامٌّ؛ وهو إفراد الله بحقِّه.
- **والآخر**: خاصٌّ؛ وهو إفراد الله بالعبادة.

ثمَّ بَيَّن أنَّ التَّوحيد - الَّذي هو إفراد الله بالعبادة - (هو دين الرُّسل) جميعًا؛ فإنَّ الرُّسل أَتوا يَدْعون أقوامهم إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ في العبادة.

وكان أوَّلَ أولئك الرُّسل (نوحٌ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ)؛ الَّذي (أرسله الله إلى قومه لمَّا غَلوا في الصَّالحين: وَدٍّ، وسُوَاعٍ، ويَغوثَ، ويَعوقَ، ونَسْرٍ).

و(**الغُلوُّ**): مُجاوزة الحدِّ المأذون فيه على وجه الإفراط.

وكان من خبر قوم نوحٍ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: أنَّه كان فيهم هؤلاء الخمسة المذكورون، وكانوا من صَالِحيهم، ثمَّ لمَّا ماتوا عَكفوا على قبورهم، ثمَّ صوَّروا صُورهم؛ ليشتاقوا إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ بتذكُّرهم، ولمَّا طال عليهم الأمد عبدوهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وبَقيت عبادة هؤلاء الصَّالحين في طبقات قُرون النَّاس.

ولمَّا اجتال الطُّوفان قومَ نوحٍ، رَمى بتماثيل هؤلاء الصَّالحين إلى جهة الحجاز، وسَفَت عليها السَّوافي، وتَوالت عليها الرِّياح، حتَّى خَفيت.

ثمَّ لمَّا رأى عمرو بن لُحَيٍّ - وكان رأسَ خُزاعةَ؛ وهم أهل الحَرم - ما كان عليه أهل الشَّام من عِبادة الأصنام، دلَّه الشَّيطان على تماثيل هؤلاء الخمسة، فاستخرجَها، وبثَّ عبادة الأصنام في العرب، ولم يَزل هذا الأمر يَتزايد فيهم حتَّى تركوا دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وبَعث الله فيهم محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنهى النَّاس عن عبادتِها، (وهو الّذي كسّر تلك الأصنام لمَّا فَتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه مكَّةَ.

وكانت بِعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قومٍ لهم أعمالٌ صالحةٌ؛ (يتعبَّدون ويحجُّون ويتصدَّقون ويذكرون الله كثيرًا)، إلَّا أنَّهم اتَّخذوا آلهةً من دون الله؛ يزعمون أنَّهم شفعاءُ يقرِّبونهم إلى الله! فهم وسائطُ عنده.

فكانت بِعثة محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجديدًا لدين إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فأخبرهم (أنَّ هذا التَّقرُّب والاعتقاد محض) حقٌّ لله وحده، (لا يصلح منه شيءٌ لغيره) كائنًا مَن كان، ولو كان مَلَكًا مقرَّبًا أو نبيًّا مرسَلًا أو غيرهما.

ثمَّ ذَكر المصنِّف أنَّ أولئك المشركين الَّذين بُعِث فيهم محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا (يشهدون أنَّ الله هو الخالق، وأنَّه لا يرزق إلَّا هو، ولا يحيي ولا يميت إلَّا هو، ولا يدبِّر الأمر إلَّا هو، وأنَّ جميع السَّماوات السَّبع ومَن فيهنَّ، والأرضين السَّبع ومَن فيهنَّ؛ كلُّهم) عبيد الله (وتحت تصرُّفه وقهره)؛ فهم مقرُّون بالرُّبوبيَّة لله عَزَّوَجَلَّ.



## قَال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فإذا أردتَ الدَّليل على أنَّ هؤلاء المشـــركين الَّذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشـــهـدون بهـذا فـاقرأ عليـه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٣١] الآية، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾، إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون]، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدَّالَّة على ذلك.

## قَال الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا قرَّر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجملة المتقدِّمة أنَّ المشركين الَّذين بُعِث فيهم محمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة، ذَكر في هذه الجملة الدَّليل على ذلك، وســاق ما ساقه من الآيات القُرآنيَّة.

**ودِلالتها على كونهم مُقرِّين بتوحيد الرُّبوبيَّة**: أنَّهم كانوا إذا سُـئِلوا عن أفرادِها - من الخَلق، والرَّزق، والمُلك، والتَّدبير - جعلوها لله عَزَّوَجَلَّ.

فأفراد الرُّبوبيَّة عندهم مضافةٌ إليه؛ فهم يُقِرُّون بِها.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إذا تحقَّقتَ أنَّهم مُقِرُّون بهذا.

وأنَّه لم يُدخِلهم في التَّوحيد الَّذي دعت إليه الرُّسل - عليهم الصَّلاة والسَّلام - ودعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعرفتَ أنَّ التَّوحيد الَّذي جحدوه هو توحيد العبادة؛ الَّذي يسمِّيه المشركون في زماننا (الاعتقاد)؛ كما كانوا يَدْعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليلًا ونهارًا، ثمَّ منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقُربِهم من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ليشفعوا لهم، أو يدعو رجلًا صالحًا مثل: اللَّاتِّ، أو نبيًّا مثل: عيسى.

وعرفتَ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلهم على هذا الشِّرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجنّ]، وقال تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرَّعد:١٤].

وتحقَّقتَ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلهم ليكون الدِّين كلُّه لله، والدُّعاء كلُّه لله، والذَّبح كلُّه لله، والنَّذر كلُّه لله، والاستغاثة كلُّها بالله، وجميع أنواع العبادة كلُّها لله.

وعرفتَ أنَّ إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يُدخِلهم في الإسلام.

وأنَّ قصدَهم الملائكةَ، أو الأنبياءَ، أو الأولياءَ؛ يريدون شفاعتَهم والتَّقرُّبَ إلى الله بذلك، هو الَّذي أحلَّ دماءهم وأموالهم.

= عرفْتَ حينئذٍ التَّوحيد الَّذي دعت إليه الرُّسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.



## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة **سبع مقدِّماتٍ**؛ **رتَّب عليها نتيجةً جليلةً**:

* **أوَّلها**: في قوله: (إذا تحقَّقتَ أنَّهم مُقِرُّون بهذا)؛ أي مقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة.

* **وثانيها**: في قوله: (أنَّه لم يُدخِلهم في التَّوحيد الَّذي دعت إليه الرُّسل - عليهم الصَّلاة والسَّلام - ودعاهم إليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)؛ أي أنَّ إقرارهم بالرُّبوبيَّة لم يُدخِلهم في توحيد العبادة؛ فكانوا مُقِرِّين بالرُّبوبيَّة، منكِرين توحيدَ العبادة؛ الَّذي حقيقته: إفراد الله بِها - كما تقدَّم.

* **وثالثها**: في قوله: (وعرفتَ أنَّ التَّوحيد الَّذي جحدوه هو توحيد العبادة)؛ أي أنَّ التَّوحيد الَّذي قابَلوه بالجحد والإنكار هو المتعلِّق بإفراد الله بأنواع القُرَب - أي العبادات.

(وهو الَّذي يُسمِّيه) المتأخِّرون من أهل زمن الشَّيخ وما قَرُب منه قبلُ وبعدُ: (الاعتقاد)؛ أي يزعمون أنَّ لهم في فلانٍ اعتقادًا صالحًا؛ فيتعلَّقون به في توقُّع النَّفع والضُّرِّ، فيكون له شيءٌ من عِباداتِهم؛ كما قال: (كما كانوا يَدْعون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ليلًا ونهارًا، ثمَّ منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقُربِهم من الله عَزَّوَجَلَّ؛ ليشفعوا لهم، أو يدعو رجلًا صالحًا مثل: اللَّاتِّ، أو نبيًّا مثل: عيسى).

* **ورابعها**: في قوله: (وعرفتَ أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قاتلهم على هذا الشِّرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجنّ]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾[الرَّعد:١٤])؛ أي أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قاتَل أهل الجاهليَّة من المشركين على

شــرك العبادة؛ في جَعلِهم شــيئًا من عِباداتِهم لغير الله، ودَعاهم إلى إخلاص العبادة لله؛ بألَّا يجعلوا شيئًا منها لغيره فيُفرِدوه بها.

وذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **آيتين عظيمتين في تحقيق إخلاص العبادة لله:**

**فالآية الأُولى:** قوله تَعَالَىٰ: (﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾[الجنّ])؛ **وهي تدلُّ على إخلاص العبادة لله من وجهين:**

- **أحدهما:** في قوله: (﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾)؛ فالمنقول في معناها - على اختلافه -: يرجع إلى تحقيق أنَّ الإعظام والإجلال والعبادة كلَّها لله وحده.

- **والآخر:** في قوله: (﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾)؛ وهو نهيٌ عن دعاء غير الله؛ يســتلزم إثباتَ دعاء الله وحده.

وقد عرفتَ قبلُ أنَّ (الدُّعاء) يُطلَق في خطاب الشَّــرع ويُراد به (العبادة)؛ فقوله هنا: (﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾) أي لا تعبدوا مع الله أحدًا.

ففي «السُّــنن» - بـإســنـادٍ صــحيحٍ - من حـديـث النُّعمـانِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**».

وإذا نُهِي عن عبادة غير الله فقد أُمِر بعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ وحده.

**والآيـة الثَّـانيـة:** قولـه تَعَالَىٰ: (﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرَّعد:١٤]).

**ودِلالتها على إخلاص العبادة لله وحده من وجهين أيضًا:**

- **أحدهما:** في قوله: (﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾) أي الدَّعوة الثَّابتة الصَّــحيحة؛ وهي عبادته

وحدَه.

فالدِّين الحقُّ في عِبادة الله: أن يُوحَّد ولا يُشرَك به شيءٌ؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزُّمر:٣] أي الَّذي ينفرد به عن غيره؛ فلا يُشارِكه فيه أحدٌ.

- **والآخر**: في قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾)؛ مبطِلًا الانتفاع بعبادة غيره سُبْحَانَهُ من المَدْعوِّين؛ فإنَّهم لا يستجيبون لِمن دعاهم؛ وهو كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾[الأحقاف].

* **وخامسها**: في قوله: (وتحقَّقتَ أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلهم ليكون الدِّين كلُّه لله، والدُّعاء كلُّه لله، والذَّبح كلُّه لله، والنَّذر كلُّه لله، والاستغاثة كلُّها بالله، وجميع أنواع العبادة كلُّها لله)؛ أي عَلِمتَ علمًا محقَّقًا أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتَلهم لتكون قُرَبُهم الَّتي يَتقرَّبون بها، وعِباداتُهم الَّتي يفعلونَها لله وحده لا شريك له؛ فجميع أنواع العبادة يجب أن تكون له.

* **وسادسها**: في قوله: (وعرفتَ أنَّ إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يُدخِلهم في الإسلام)؛ أي عرفتَ أنَّ ما كانوا عليه من كونِهم مُقِرِّين بتوحيد الرُّبوبيَّة - يضيفون إلى الله أنواعَه؛ من الخَلق، والمُلك، والرَّزق، وتدبير الأمر - لم يُدخِلهم في الإسلام؛ فلم يكونوا بثبوت ذلك التَّوحيد فيهم مسلمين.

* **وسابعها**: في قوله: (وأنَّ قصدَهم الملائكةَ، أو الأنبياءَ، أو الأولياءَ؛ يريدون شفاعتَهم والتَّقرُّبَ إلى الله بذلك، هو الَّذي أحلَّ دماءهم وأموالهم) أي أنَّ المانع دخولَهم في الإسلام المُحِلَّ دماءَهم وأموالَهم، هو ما كانوا عليه من عِبادة غير الله، فيمَن

كانوا يجعلون له شـيئًا من عباداتِهم ويقصـدونه بالتَّقرُّب؛ كالملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء، أو الصَّالحين.

فهذه المقدِّمات السَّبع الَّتي ذَكرها المصنِّف؛ أَفْضَت إلى النَّتيجة المُرتقَبة والثَّمرة المُنتظرة الَّتي ختم بها كلامه فقال: (عرفْتَ حينئذٍ التَّوحيد الَّذي دعت إليه الرُّسل، وأبى عن الإقرار به المشركون)؛ أي عرفتَ أنَّ توحيد العبادة هو الَّذي بُعِثت به الرُّسل وأنكره المُشركون، وحقيقته: إفراد الله بالعبادة.

فالمطلوب من العبد: أن يُفرِد الله عَزَّوَجَلَّ بعباداته؛ فلا يجعل شيئًا منها لغيره.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا التَّوحيد هو معنى قولك: لا إله إلَّا الله؛ فإنَّ (الإله) عندهم هو الَّذي يُقصَد لأجل هذه الأمور، سواءٌ كان ملَكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جنِّيًّا.

لم يُريدوا أنَّ (الإله) هو الخالق الرَّازق المدبِّر؛ فإنَّهم يعلمون أنَّ ذلك لله وحده - كما قدَّمتُ لك -، وإنَّما يعنون بـ (الإله) ما يعني به المشركون في زماننا بلفظ (السَّيِّد)، فأتاهم النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى كلمة التَّوحيد، وهي (لا إله إلَّا الله).

والمراد من هذه الكلمة معناها، لا مجرَّد لفظها.

والكفَّار الجهَّال يعلمون أنَّ مراد النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الكلمة هو إفراد الله تَعَالَى بالتَّعلُّق، والكفرُ بما يعبد من دونه والبراءةُ منه؛ فإنَّه لمَّا قال لهم: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص].

فإذا عرفتَ أنَّ جهَّال الكفَّار يعرفون ذلك؛ فالعَجَب ممَّن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف مِن تفسير هذه الكلمة ما عَرف جهُّال الكفَّار؛ بل يظنُّ أنَّ ذلك هو التَّلفُّظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيءٍ من المعاني، والحاذق منهم يظنُّ أنَّ معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبِّر الأمر إلَّا اللهُ وحده.

فلا خيرَ في رجلٍ جهُّال الكفَّار أعلم منه بمعنى (لا إله إلَّا الله).



## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ في هذه الجملة أنَّ توحيد العبادة الَّذي دعت إليه الرُّسل (هو

معنى قولك: لا إله إلَّا الله) أي لا معبود حقٌّ إلَّا الله.

(فإنَّ (الإله) عندهم هو الَّذي يُقصَد لأجل هذه الأمور) أي يُطلَب التَّقرُّب إليه بما يُجعَل له من العبادات، (سواءٌ كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جنِّيًّا).

فـ **(الإله) عندهم** هو المألوه المعبود المُتوجَّه إليه بالخضوع والحبِّ.

ولم يكونوا يريدون أنَّه (الخالق الرَّازق المدبِّر؛ فإنَّهم يعلمون أنَّ ذلك لله وحده)، (وإنَّما يعنون بـــ(الإله)): مَن يُتوجَّه إليه تأليهًا بالحبِّ والتَّعظيم، وتُجعَل له أنواع العبادات.

وهذا المعنى المراد من (الإله) هو الَّذي يريده متأخِّرو المشركين من تسميتهم أحدًا بـــ(السَّيِّد)؛ فيقولون: (فلانٌ سيِّدٌ) أي يُتَوجَّه إليه بالتَّأليه خضوعًا له وحبًّا، سواءً كان نبيًّا أو وليًّا أو غير ذلك.

وإذا تقرَّر أنَّ (الإله) عندهم هو المألوه المعبود، وأنَّهم كانوا يجعلون من العبادة ما يجعلون لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا أتاهم دعاهم إلى (لا إله إلَّا الله)، أي إلى أن يُفرِدوا الله وحدَه بالعبادة.

قال المصنِّف: (والمرادُ من هذه الكلمة معناها، لا مجرَّد لفظها) أي أنَّ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب منهم أن يقولوا: (لا إله إلَّا الله) قولًا مقرونًا باعتقادِ معناها والعملِ بمقتضاها؛ فيعتقد القائل أنَّه لا معبود حقٌّ إلَّا الله، ولا يجعل شيئًا من عبادته لغيره؛ فيرى بطلانَ عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا المرادُ من قولِها عَلِمَه الكفَّار الجهَّال الَّذين بُعِث إليهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ (فإنَّه لمَّا قال لهم: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ

﴿٥﴾ [ص])، فاستنكروا أن يأمرهم بإفراد عباداتِهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يُجعَل من يُقصَد بالتَّعظيم والتَّأليه واحدًا.

ثمَّ قال المصنِّف: (فإذا عرفت أنَّ جهَّال الكفَّار يعرفون ذلك؛ فالعجب ممَّن يَدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرف جهَّال الكفَّار)؛ مستبشِعًا حال طائفتين تنتسبان إلى الإسلام، لم تعرِفا من كلمة التَّوحيد ما عرفه جهَّال المشركين الأوائل:

* **فالطَّائفة الأولى**: طائفةٌ تظنُّ أنَّ المطلوب (هو التَّلفُّظ بحروفها، من غير اعتقادٍ) ولا عملٍ.

* **والطَّائفة الثَّانية**: طائفةٌ تظنُّ أنَّ معنى (لا إله إلَّا الله): (لا يخلق ولا يرزق ولا يدبِّر الأمر إلَّا الله وحده).

فهاتان الطَّائفتان بدعواهما المَذكورتين لم تعرفا ما عرفه أبو جهلٍ وأضرابُه مِن أنَّ المراد من قول: (لا إله إلَّا الله): أن يعتقدَ القائلُ معناها، وأن يعملَ بمقتضاها؛ فامتنعوا من قولها.

وأمَّا هؤلاء: فإنَّهم يقولون: (لا إله إلَّا الله)، ثمَّ يجعلون ما يجعلون من عباداتِهم لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وختم المصنِّف هذه الجملة من كلامه بقوله: (فلا خير في رجلٍ جهَّال الكفَّار أعلم منه بمعنى (لا إله إلَّا الله))؛ ذمًّا لحال الطَّائفتين المذكورتين، وتحذيرًا من الوقوع في شِراك أقوالهما.

## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إذا عرفتَ ما قلتُ لك معرفةَ قلبٍ.

وعرفت الشِّـرك بالله الَّذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النِّساء:٤٨].

وعرفتَ دينَ الله الَّذي بَعث به الرُّسـلَ من أوَّلهم إلى آخرهم؛ الَّذي لا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه.

وعرفتَ ما أصبح غالبُ النَّاس عليه من الجهل بهذا.

= أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضـل الله ورحمته؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾[يونس].

وأفادك أيضًا الخوفَ العظيمَ؛ فإنَّك إذا عرفتَ أنَّ الإنسان يكفر بكلمةٍ يُخرِجها من لسـانه دون قلبه، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يُعذَر بالجهل، وقد يقولها وهو يظنُّ أنَّها تُقرِّبه إلى الله زُلفى كما ظنَّ الكفّار.

خصـوصًـا إن أَلْهَمك الله ما قصَّ عن قوم موسـى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - مع صـلاحهم وعِلمهم - أنَّهم أتوه قائلين: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾[الأعراف:١٣٨]؛ فحينئذٍ يعظم خوفُك وحرصُك على ما يُخلِّصك من هذا وأمثاله.



## قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة **أربع مقدِّماتٍ أخرى؛ رتَّب عليها نتيجةً جليلةً ثانيةً:**

* **فأوَّلها**: في قوله: (إذا عرفتَ ما قلتُ لك معرفة قلبٍ)؛ وهو ما تقدَّم مِن أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بُعِث إلى قومٍ يُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة، إلَّا أنَّهم يُنكِرون توحيد العبادة؛ فيدعون اللهَ ويدعون غيرَه، ويجعلون من عباداتِهم ما يجعلون لغير الله.

* **وثانيها**: في قوله: (وعرفتَ الشِّرك بالله الَّذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء:٤٨])؛ أي عرفتَ أنَّ شركَهم الأعظمَ وشرَّهم الأكبرَ: الشِّركُ في العبادة؛ بجعل شيءٍ منها لغير الله.

وهذا هو المعنى المراد إذا أطلق (الشِّرك) في خطاب الشَّرع.

**فـ (الشِّرك) شرعًا له معنيان:**

- **أحدهما**: عامٌّ؛ وهو جعل شيءٍ من حقِّ الله لغيره.
- **والآخر**: خاصٌّ؛ وهو جعل شيءٍ من العبادة لغير الله.

* **وثالثها**: في قوله: (وعرفتَ دينَ الله الَّذي بَعث به الرُّسلَ من أوَّلهم إلى آخرهم؛ الَّذي لا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه)؛ أي عرفتَ الدِّين الَّذي بُعِثت به الرُّسل، ولا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من أحدٍ سواه؛ وهو الاستسلام لله بالتَّوحيد؛ بأن تجعل العبادةَ لله وحده، ولا يجعل شيءٌ منها لغيره.

* **ورابعها**: في قوله: (وعرفتَ ما أصبح غالب النَّاس عليه من الجهل بهذا) أي من الجهل بالتَّوحيد والشِّرك.

ثمَّ ذكر المصنِّف النَّتيجة المرتقبَةَ والثَّمرةَ المنتظَرةَ من إدراك المعارف السَّابقة المنتظِمة في المقدِّمات الأربع؛ فقال: (**أفادك فائدتين:**

**الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته**) بما جعل الله لك من البصيرة الَّتي تُميِّز بها بين التَّوحيد والشِّرك.

**والثَّانية**: (**الخوف العظيم**) من الوقوع في الشِّرك؛ بأن يكون حاضرًا في القلب؛ فيَتخوَّف العبد على نفسه مهما بلغت رتبتُه أن يقع في الشِّرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

**وممَّا يقوِّي الخوف من الشِّرك**: أنَّ الإنسان قد (يكفر بكلمةٍ يُخرِجها من لسانه)؛ فيوجب هذا الحذرَ من الشِّرك أشدَّ الحذر.

(وقد يقولُها) وهو يظنُّ (أنَّها تُقرِّبه إلى الله زلفى).

ثمَّ ذكر المصنِّف مِن وقائع الأحوال وحوادث الأيَّام ما قَصَّ الله عن قوم موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (مع صلاحهم) واتِّباعهم له، وأنَّهم مرُّوا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم فأعجبتهم حالهم فقالوا لموسى: (﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]).

ومعرفة هذه الواقعة تُثمِر في القلب شدَّة الخوف من الوقوع في الشِّرك؛ فإنَّها وقعت من قومٍ صالحين، مع نبيٍّ مِن خير أنبياء ربِّ العالمين؛ فيتخوَّف العبد على نفسه أن يقع في الشِّرك.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

واعلم أنَّ الله سُبْحَانَهُ من حكمته لم يبعث نبيًّا بِهذا التَّوحيد إلَّا جعل له أعداءً؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[الأنعام:١١٢].

وقد يكون لأعداء التَّوحيد علومٌ كثيرةٌ وكُتُبٌ وحُجَجٌ؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾[غافر].

## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **هذه الجملة أمرين عظيمين:**

**أحدهما**: أنَّ الله (لم يبعث نبيًّا بِهذا التَّوحيد إلَّا جعل له أعداءً) من المشركين؛ (كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[الأنعام:١١٢]).

فالأنبياء المبعوثون بالتَّوحيد يكون لهم أعداءٌ يُؤذونَهم ويُحذِّرون من إجابتهم إلى ما دعوا إليه، وكذلك يكون لورثتهم من الدَّاعين إلى التَّوحيد أعداءٌ يحذِّرون منهم ويصدُّون النَّاس عن دعوتِهم.

**والآخر**: أنَّ أعداء التَّوحيد لهم (علومٌ كثيرةٌ وكتُبٌ وحججٌ)؛ فهم ليسوا جهَّالًا خلَّصًا؛ (كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾[غافر:٨٣]).

وتلك العلوم هي صورٌ زائفةٌ، وليست حقائقَ ثابتةً؛ فتأخذ ظواهرُها بالنُّفوس،

وتتلاشى أمام أنوار الحقِّ.

فدعاة الباطل عندهم علومٌ كثيرةٌ، إلَّا أنَّها لا تزيدهم إلَّا حيرةً وضلالًا؛ فهي ليست حججًا بيِّنةً، ولا حقًّا واضحًا، بل هي سرابٌ وخيال؛ إذا طلعت عليه شمس الحقِّ زال.

فلا يغرُّنَّك من مبطِلٍ ما يدَّعيه من الدَّلائل على باطله؛ فإنَّه إذا حُوقِق في تمييزها كانت سرابًا لا شيءَ وراءَه.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أنَّ الطَّريق إلى الله لا بدَّ له من أعداءٍ قاعدين عليه؛ أهلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحججٍ = فالواجب عليك أن تَعلَّم من دين الله ما يصير سلاحًا تقاتل به هؤلاء الشَّياطين الَّذين قال إمامُهم ومقدَّمُهم لربِّك عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

ولكن إن أَقبلتَ إلى الله تَعَالَى، وأصغيتَ إلى حجج الله وبيِّناتِه؛ فلا تخف ولا تحزن، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء:٧٦].

والعامِّيُّ من الموحِّدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصَّافَّات]؛ فجند الله تَعَالَى هم الغالبون بالحجَّة واللِّسان، كما أنَّهم هم الغالبون بالسَّيف والسِّنان.

وإنَّما الخوف على المُوحِّد الَّذي يسلك الطَّريق وليس معه سلاحٌ، وقد مَنَّ الله علينا بكتابه الَّذي جعله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّحل:٨٩].

فلا يأتي صاحب باطلٍ بحجَّةٍ إلَّا وفي القرآن ما يَنقضُها ويبيِّن بطلانَها؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان].

قال بعض المفسِّرين: هذه الآية عامَّةٌ في كلِّ حجَّةٍ يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.



## قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الإنسان إذا عَرف ما يفرح به من توحيدِه وما يخافه من الشِّرك، وعرف (أنَّ الطَّريق إلى الله لا بدَّ له من أعداءٍ قاعدين عليه؛ أهلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحججٍ) = فالواجب عليه: أن يتَّخذ سلاحًا يدفع به عن دينه، كما يتَّخذ سلاحًا يدفع به عن نفسه.

**وممَّا تطمئنُّ به قلوب الموحِّدين**: أنَّ أولئك القاعدين على الطَّريق - من علماء الضَّلالة - باطلٌ ما هم فيه، وحابطٌ ما كانوا يعملون؛ لأنَّ أولياء الشَّيطان مغلوبون مخذولون.

فالشَّيطان مهما بلغ شرُّه فإنَّ كيدَه ضعيفٌ؛ كما قال الله تَعَالَىٰ: (﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء:٧٦]).

**ويُقوِّي هذه الطُّمأنينة في قلب العبد**: إقبالُه على الله، وإصغاؤُه إلى حججه وبيِّناته.

فإذا جعل العبد قبلةَ قلبِه اللهَ، قاصدًا له، وأصغى إلى حجج الله وبيِّناته في القرآن = جعلَ الله له نورًا يَخرج به من ظلمة الغواية إلى نور الهداية؛ كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

**وممَّا تقوى به عزائم المُوحِّدين**: أنَّ (العامِّيَّ من الموحِّدين يغلب ألفًا من علماء المشركين).

**ومنشأ غلبتِه**: وجودُ منشأ داعي الفطرة في نفسه، وقوَّة ما يجده من الاستسلام لله بالتَّوحيد.

فيجد العبد مع الفطرة من قوَّة الحجَّة التَّوحيديَّة ما يغلب به علماء المشركين.

**وموجِب انتصاره عليهم**: أنَّه مِن جند الله، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: (﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصَّافَّات])، ووعد الله عَزَّوَجَلَّ لا يتخلَّف؛ فمن كان مِن جند الله كان النَّصرُ حليفَه.

ثمَّ ذكر المصنِّف: أنَّ (الخوف على الموحِّد الَّذي يسلك الطَّريق وليس معه سلاحٌ)؛ أي ليس عنده علمٌ يدفع به عن دينه ويحفظُه به؛ فتغتالُه الغوائلُ، وتَعْدو عليه العوادي من أنواع الشُّبهات.

فلا بدَّ أن يتعلَّم من دين الله عَزَّوَجَلَّ ما يكون به سلاحًا يحفظ دينَه ويدفع سيلَ الشُّبهات.

فينبغي أن يجتهد ملتمس النَّجاة في طلب العلم؛ فإنَّ حفظَ الإنسان دينه، وسلامتَه من الخسار متوقِّفٌ على علمه بدين الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ فهو مفتاح الخير وأصلُه في الدُّنيا والآخرة.

وتقدَّم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال في سورة العصر: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢﴾، ثمَّ استثنى النَّاجين من تلك الخسارة فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر]، ومَنشأ هذه الخصال: العلمُ بدين الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ثمَّ ذكر المصنِّف السِّلاح الأكيد في إبطال الشِّرك والتَّنديد؛ فقال: فإنَّه (لا يأتي صاحب باطلٍ بحجَّةٍ إلَّا وفي القرآن ما ينقضُها ويُبيِّن بطلانَها؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان]).

فالقرآن الكريم هو أعظم حجَّةٍ تقرِّر في القلوب التَّوحيد وتبطل الشِّرك والتَّنديد؛

فينبغي أن يقبل العبد على القرآن، ويُنصِــت إلى حججه وبيِّناته؛ ليحفظ دينَه، وينقضَ بكلِّ حجَّةٍ توحيديَّةٍ فيه ما يَعْرِض في مقابِلها من شبهاتِ أهل الشِّرك.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأنا أذكر لك أشـياءَ ممَّا ذكر الله تَعَالَىٰ في كتابه جوابًا لكلامٍ احتجَّ به المشـركون في زمانِنا علينا؛ فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مجملٍ، ومفصَّلٍ.

أمَّا المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لِمن عَقلها، وذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[آل عمران:٧].

وقد صحَّ عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ**».

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس]، أو: (إنَّ الشَّفاعة حقٌّ)، أو: (إنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عند الله)، أو ذكر كلامًا للنَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستدلُّ به على شـيءٍ من باطله، وأنت لا تفهمُ معنى الكلام الَّذي ذكره.

فجاوِبْه بقولك: إنَّ الله تَعَالَىٰ ذكر لنا في كتابه أنَّ الَّذين في قلوبهم زيغٌ يتركون المُحْكَم ويتَّبعون المتشابه.

وما ذكرتُ لك مِن أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ذَكر أنَّ المشـركين يُقِرُّون بالرُّبوبيَّة، وأنَّه كفَّرهم بتعلُّقهم على الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء مع قولِهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، وهذا أمرٌ مُحكَمٌ لا يقدر أحدٌ أن يغيِّر معناه.

وما ذكرتَه لي - أيُّها المشـرك - من القرآن أو كلام رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا

أعرف معناه، ولكن أقطعُ أنَّ كلام الله لا يتناقض، وأنَّ كلام النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخالف كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا جوابٌ جيِّدٌ سديدٌ، ولكن لا يفهمه إلَّا مَن وفَّقه الله تَعَالَى، ولا تَستهونه؛ فإنَّه كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ أنَّ القرآن كافٍ في بيان الحقِّ وإبطال الباطل شَرع يذكر (في كتابه) هذا (جوابًا لكلامٍ احتجَّ به المشركون في) زمانه على دعوة التَّوحيد؛ **فبيَّن أنَّ الرَّدَّ على الأقوال الباطلة يقع من طريقين:**

- **أحدهما**: طريقٌ (مجمَلٌ)؛ **والمراد به**: القاعدة الكلِّيَّة الَّتي تُرَدُّ إليها تفاصيل المسائل المشتبِهة.

- **والآخر**: طريقٌ (مفصَّلٌ)؛ **والمراد به**: الجواب عن كلِّ شبهةٍ على حِدَةٍ.

وبدأ بالجواب المُجمَل؛ لأنَّه الأمر الكلِّيُّ (والفائدة الكبيرة لمن عَقلها).

واستدلَّ على تحقيقه بآية سورة آل عمران: (﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]).

فمَا اشتبه على العبد في مقابِل المُحْكَم؛ فإنَّه يتمسَّك بالمُحْكَم، ويُعْرِض عن المتشابِه.

فيدور العبد مع الإحكام، ويُعْرِض عمَّا تشابه عليه؛ لأنَّ ما عَقله من الإحكام حقٌّ لا

مِريةَ فيه، وما اشتبه عليه لا يعلم وجهه؛ فيترك ما لا يعلمه إلى ما يعلمه.

(وقد صحَّ عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) كما ذكر المصنِّف (أنَّه قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ»). متَّفقٌ عليه من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

و(الحذر منهم) يجمع أمرين:

- ✓ **أحدهما**: الحذر من أشخاصهم؛ فلا يُصحَبون.
- ✓ **والآخر**: الحذر من مقالاتهم؛ فلا يُتَشاغَل بها ولا يُقْبَل عليها.

وذكر المصنِّف مثالًا يَتَّضح به الجواب المجمل؛ أنَّه إذا استدلَّ عليك أحدٌ بالدَّعاوى الباطلة في توحيد العبادة أو غيرها، وجاء بكلامٍ متشابِهٍ فقال: (إنَّ الشَّفاعة حقٌّ، أو: إنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عند الله)، أو ذكر كلامًا يستدلُّ به وأنت لا تفهم هذا الكلام = فالجوابُ القاطع المُبطِل تلك الشُّبهةَ: أن تتمسَّك بمُحْكَم القرآن؛ مِن أنَّ العبادةَ لله وحده، وأنَّه لا يُجعَل شيءٌ منها لغير الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وأنَّه لا يكفي العبدَ الإقرار بتوحيد الرُّبوبيَّة، وأنَّ جعلَ الشُّفعاء والوُسَطاء عند الله من الشِّرك.

وما يذكره المشبِّه من الكلام: فإنَّ القول فيه - كما ذكر المصنِّف -: كلامٌ (لا أعرف معناه)؛ وهذا القول يحتمل أمرين:

- **أحدهما**: لا أعرف معناه الَّذي تَدَّعيه وتذكُره وتستدلُّ به.
- **والآخر**: لا أعرف معناه الَّذي ذكره أهل العلم.

فينفي المعرفةَ عن نفسِه، مع جزمه بأنَّ (كلام الله لا يتناقض، وأنَّ كلام النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا يخالف كلام الله عَزَّوَجَلَّ).

فيتمسَّك بالمُحْكَم في إثبات العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ جعلَ شيءٍ منها لغيره شركٌ.

وهذا جوابٌ مجملٌ كافٍ في دفع كلِّ شبهةٍ في باب توحيد العبادة أو غيره من أبواب الدِّيانة.

فإذا ألقى أحدهم شبهةً؛ فاطلُب المُحْكَمَ في بابِها، وتمسَّكْ به، واجعَلْه حجَّةً لك عليه، واترُك ما يذكره من المتشابه لأنَّه لم يتبيَّن لك وجهه.

فلو قُدِّر أنَّ أحدَهم ذكر لك آيةً أو حديثًا زَعم أنَّه يدلُّ على جواز جعلِ أحدٍ شفيعًا وواسطةً عند الله عَزَّوَجَلَّ يَقصده بشيءٍ من العبادة = فإنَّك تتمسَّك بالمُحْكَم الَّذي عَقَلْتَه؛ مِن أنَّ العبادة لله وحده؛ في قوله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر:٣]، وقوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرَّعد:١٤]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة:٥] إلى غير ذلك من الآيات.

ثمَّ تدفع قولَه بأنَّ هذا هو المُحكَم في هذا الباب؛ بأنَّنا لا نجعل شيئًا من العبادة لغير الله، وأنَّ العبادة كلَّها لله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ هذا الَّذي تذكره وتزعم أنَّه يدلُّ على خلاف ذلك: فأنا لا أعرف معناه، وتتمسَّك بما تدرك معناه وتَعْقِله على وجهٍ مُحْكَمٍ.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وأمَّا الجواب المفصَّل: فإنَّ أعداء الله لهم اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دين الرُّسل يصدُّون بها النَّاس عنه.

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئًا؛ بل نشهد أنَّه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبِّر الأمرَ ولا ينفع ولا يضرُّ إلَّا الله وحدَه لا شريك له، وأنَّ محمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنبٌ، والصَّالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجاوِبْه بما تقدَّم؛ وهو أنَّ الَّذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرُّون بما ذكرتَ لي - أيُّها المبطِل -، ومُقِرُّون أنَّ أوثانَهم لا تُدبِّر شيئًا، وإنَّما أرادوا ممَّن قصدوا الجاه والشَّفاعة، واقرأ عليه ما ذكرَ الله في كتابه ووضَّحه.

فإن قال: إنَّ هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، كيف تجعلون الصَّالحين مثل الأصنام؟! أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟!

فجاوِبه بما تقدَّم؛ فإنَّه إذا أقرَّ أنَّ الكفَّار يشهدون بالرُّبوبيَّة كلِّها لله، وأنَّهم ما أرادوا ممَّا قصدوا إلَّا الشَّفاعةَ، ولكن أراد أن يُفرِّق بين فعلِهم وفعلِه بما ذكر؛ فاذكُر له أنَّ الكفَّار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الَّذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء]، ويدعون عيسى ابن مريمَ وأمَّه، وقد قال الله تَعَالَىٰ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة:٧٥].

واذكُر له قوله تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ]، وقولَه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦].

فقُل له: عرفتَ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ كفَّر مَن قصد الأصنام، وكَفَّر أيضًا مَن قصد الصَّالحين، وقاتَلهم رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فإن قال: الكفَّار يُريدون منهم النَّفع والضُّرَّ، وأنا أشهد أنَّ الله هو النَّافع الضَّارُّ المدبِّر لا أريد إلَّا منه، والصَّالحون ليس لهم من الأمر شيءٌ، ولكن أقصِدُهم أرجو من الله شفاعتَهم.

فالجواب: أنَّ هذا قولُ الكفَّار، سواءٌ بسواءٍ، فاقرأ عليه قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمر:٣]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

واعلَمْ أنَّ هذه الشُّبه الثَّلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفتَ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ وضَّحها في كتابه، وفهِمْتَها فهمًا جيِّدًا؛ فما بعدَها أيسرُ منها.

## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا فرغ المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ مِن ذكر الجواب المجمَل، وضرب له مثالًا يتبيَّن به المقال؛ شرع يبيِّن شُبه المشبِّهين من المبطِلين في توحيد العبادة على وجه التَّفصيل.

وابتدأ بشبهٍ ثلاثٍ أوردها واحدةً واحدةً، وألحق بكلِّ شبهةٍ ما ينقضُها ويبيِّن بطلانَها.

و(هذه الشُّبه الثَّلاث هي أكبر ما عندهم) كما قال المصنِّف.

ثمّ قال: (فإذا عرفتَ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ وضَّحها في كتابه، وفهِمْتَها فهمًا جيِّدًا؛ فما بعدَها أيسرُ منها)؛ فمعرفة ما تُدفَع به الشُّبهات الكبرى، مُعِينٌ على معرفة ما تُدفَع به الشُّبهات الصُّغرى.

**فمنفعة ابتداء المصنِّف بِها**: أنَّه يتهيَّأ للمرءِ إذا عقلها الدَّفع لِما دونَها من الشُّبهات.

* **فالشُّبهة الأولى**: أنَّهم يقولون: (نحن لا نشرك بالله شيئًا؛ بل نشهد أنَّه لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع ولا يضرُّ إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا) عمَّن دونه، ولكنَّنا مذنبون (والصَّالحون لهم جاهٌ عند الله)، فنحن نطلب (من الله بِهم).

**والجواب عن هذه الشُّبهة من ثلاثة وجوهٍ:**

- **الوجه الأوَّل**: أنَّ هذه المقالة من مقالات المشركين الأوَّلين، وقد أكْفَرهم النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقاتلهم عليها؛ فما أنتم واقعون فيه هو الَّذي وقع فيه المشركون الأوَّلون؛ مِن جعلِهم الشُّفعاء يريدون منهم أن يقرِّبوهم إلى الله زلفى.

- **والوجه الثَّاني**: أنَّ الجاه الَّذي يكون للصَّالحين هو جاهٌ يتعلَّق بِهم، لا يلزم منه جوازُ دعائهم والاستغاثة بِهم؛ فالله عَزَّوَجَلَّ جعل لهم جاهًا ورتبةً، ونَهانا عن سؤالهم ودعائهم.

- **والوجه الثَّالث**: أنَّ العبد المذنِب لم يُؤمَر شرعًا إذا وقعت منه خطيئةٌ واقترف سيِّئةً أن يفزع إلى الصَّالحين ليطلبوا له من الله المغفرةَ بأن يتوجَّه إليهم ويتقرَّب رجاء أن يشفعوا له عند الله عَزَّوَجَلَّ بالمغفرة فيكونوا واسطةً له؛ بل أُمِر العبد أن يستغفر الله

ويتوب إليه.

* **والشُّبهة الثَّانية**: أنَّهم يزعمون أنَّ هذا متحقِّقٌ (فيمن يعبد الأصنام)، وهم لا يعبدون الأصنام، ويقولون: أفتجعلون الأولياء والصَّالحين مثل الأصنام؟! و(كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟!).

**والجواب عن هذه الشُّبهة**: أن يقال: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يخصَّ دعوتَه بالإنكار على من عبد الأصنام؛ فأنكر على كلِّ مَن دعا غير الله، سواءً كان نبيًّا؛ كعيسى، أو صالحًا؛ كاللَّات، أو ملَكًا؛ كجبريلَ.

فكلُّ مَن جُعِلت له عبادةٌ مِن دون الله عَزَّوَجَلَّ فعبادتُه باطلةٌ منكَرةٌ، مشنَّعٌ على أصحابِها؛ ولو كان المعبود نبيًّا، أو وليًّا، أو صالحًا، أو حجرًا، أو شجرًا.

* **والشُّبهة الثَّالثة**: قول أحدهم: (الكفَّار يُريدون منهم النَّفع والضُّرَّ، وأنا أشهد أنَّ الله هو النَّافع الضَّارُّ المدبِّر لا أريد إلَّا منه، والصَّالحون ليس لهم من الأمر شيءٌ، ولكن أقصِدُهم أرجو من الله شفاعتَهم).

**والجواب عن هذه الشُّبهة من وجهين:**

- **أحدهما**: أنَّ هذه الدَّعوى هي قول المشركين الأوَّلين؛ فإنَّهم كانوا يجعلون معظَّميهم شفعاءَ عند الله؛ فالقائلون بِهذا من المتأخِّرين حالُهم كحال الأوَّلين، وحكمُهم كحكمِهم.

- **والآخر**: أنَّ الشَّفاعة يختصُّ ملكُها بالله؛ فهي له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده، وقد نَهانا عن سؤال غيره الشَّفاعةَ.

## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فإن قال: أنا لا أعبد إلَّا الله، وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادةٍ.

فقل له: أنت تقرُّ أنَّ الله فرض عليك إخلاص العبادة، وهو حقُّه عليك؟

فإذا قال: نعم.

فقل له: بيِّن لي هذا الفرض الَّذي فرضه الله عليك، وهو إخلاص العبادة لله، وهو حقُّه عليك، فإنَّه لا يعرف العبادةَ ولا أنواعَها؛ فبيِّنها له بقولك: قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥].

فإذا أَعْلَمته بهذا، فقل له: هل هو عبادةٌ لله تَعَالَىٰ؟

فلا بدَّ أن يقول: نعم، والدُّعاء من العبادة.

فقل له: إذا أقررتَ أنَّه عبادةٌ، ودعوتَ الله ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثمَّ دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، هل أشركتَ في عبادة الله غيره؟

فلا بدَّ أن يقول: نعم.

فقل له: قال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر]، فإذا أطعتَ اللهَ ونحرتَ له، هل هذه عبادةٌ؟

فلا بدَّ أن يقول: نعم.

فقل له: إذا نحرتَ لمخلوقٍ - نبيٍّ، أو جنّيٍّ، أو غيرهما - هل أشركتَ في هذه العبادة غيرَ الله؟

فلابدَّ أن يُقِرَّ ويقول: نعم.

وقل له أيضًا: المشركون الَّذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصَّالحين واللَّاتَّ وغير ذلك؟

فلا بدَّ أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتُهم إيَّاهم إلَّا في الدُّعاء والذَّبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلَّا فهم مقِرُّون أنَّهم عبيدٌ تحت قهر الله، وأنَّ الله هو الَّذي يدبِّر الأمرَ، ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشَّفاعة، وهذا ظاهرٌ جدًّا.

## قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهةً أخرى لهم؛ وهي أنَّ بعضهم يقول: (أنا لا أعبد إلَّا الله، وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادةٍ).

وبيَّن المصنِّف **إبطال هذه الشُّبهة بأمورٍ أربعة؛ رتَّبها تواليًا:**

* **أوَّلها**: تقرير المشبِّه أنَّ الله أمره بعبادته؛ أي حملُه على الإقرار بأنَّه مأمورٌ بجعل العبادة لله وحده.

* **وثانيها**: بيان حقيقة العبادة له؛ الواردة في قوله تَعَالَىٰ: (﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥])؛ فهو أمرٌ بالتَّوجُّه إليه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالدُّعاء، وهو يقع اسمًا للعبادة كلِّها، **وحقيقة (العبادة)**: أن تجعل جميع أعمالك الَّتي تتقرَّب بها لله وحده.

* **وثالثها**: إيضاح أنَّ مَن جعل منها شيئًا لغير الله فقد أشرك؛ لأنَّ ما كان عبادةً له، فجعلُه لغيره شركٌ.

فإذا ثبت أنَّ دعاء الله عبادةٌ، فدعاء غيره شــركٌ، وإذا ثبت أنَّ النَّذر لله عبادةٌ، فالنَّذر لغيره شركٌ، وقل مثل هذا في سائر أنواع العبادات.

* **ورابعها**: تحقيق أنَّ المشــركين الَّذين نزل فيهم القرآن كانت عباداتُهم هي الدُّعاء والالتجاء والذَّبح والنَّذر لمعظَّميهم.

**ومنتهى هؤلاء الأربع**: أن يقرَّ بـأنَّ الالتجـاء إلى الصَّـــالحين ودعـاءَهم هو عبـادةٌ شركيَّةٌ؛ لأنَّ الله أمر العبد باللُّجوء إليه ودعائِه؛ فهما من عبادته سُبْحَانَهُ، وإذا جُعِلا لغيره فقد وقع العبد في الشِّــرك؛ كما كانت تفعله العرب في الجاهليَّة الأولى؛ فحال مَن يفعل هذا من المتأخِّرين - ممَّن يتوجَّه إلى الصَّالحين ويدعوهم - كحالِهم.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال: أتنكر شفاعةَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَبَرَّأُ منها؟

فقُل: لا أُنكِرها، ولا أتبرَّأ منها؛ بل هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّافع المشفَّع في المَحْشَر وأرجو شفاعتَه، ولكنَّ الشَّفاعة كلَّها لله؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٤٤]، ولا تكون إلَّا بعد إذن الله؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ولا يشفع في أحدٍ إلَّا بعد أن يأذن الله فيه، ولا يأذن إلَّا لأهل التَّوحيد والإخلاص؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وهو لا يرضى إلَّا التَّوحيد؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

فإذا كانت الشَّفاعة كلُّها لله، ولا تكون إلَّا بعد إذنه، ولا يشفع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غيرُه في أحدٍ حتَّى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلَّا لأهل التَّوحيد = تَبيَّن أنَّ الشَّفاعة كلَّها لله، وأنا أطلبها منه؛ فأقول: (اللَّهمَّ لا تحرمني شفاعتَه، اللَّهمَّ شفِّعْه فِيَّ)، وأمثالَ هذا.

فإن قال: النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعطِي الشَّفاعة، وأنا أطلبه ممَّا أعطاه الله.

فالجواب: أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أعطاه الشَّفاعة، ونَهاك أن تدعو معه أحدًا، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ:١٨]، وطلبُك من الله شفاعةَ نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادةٌ، والله نَهاك أن تُشرِك في هذه العبادة أحدًا، فإذا كنتَ تدعو الله أن يشفِّعه فيك فأطِعْه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجنّ].

وأيضًا: فإنَّ الشَّفاعة أُعطِيها غيرُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصحَّ أنَّ الملائكة يشفعون،

والأفراطَ يشفعون، والأولياءَ يشفعون، أتقول: إنَّ الله أعطاهم الشَّفاعة فأطلبُها منهم؟

فإن قلتَ هذا، وجوَّزتَ دعاء هؤلاء؛ رجعتَ إلى عبادة الصَّالحين الَّتي ذكرها الله في كتابه.

وإن قلتَ: لا؛ بَطَل قولك: أعطاه الله الشَّفاعة، وأنا أطلبه ممَّا أعطاه الله.



## قَالَ الشَّارِحُ وفّقه اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من الدَّعاوى الَّتي يتعلّق بِها المُشبِّهون في باب توحيد العبادة: زعمهم أنَّ الدَّاعين إلى توحيد الله في الالتجاء يُنكِرون شفاعة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأهل السُّنَّة والجماعة لا ينكرون شفاعتَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيعتقدون أنَّه يشفع عند الله، وأنَّه يكون له من الشَّفاعات ما لا يكون لغيره؛ لكنَّهم يمتنعون عن سؤال النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّفاعةَ؛ لأنَّ الشَّفاعة مِلكٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده، وقد نَهانا عن سؤالها غيره؛ فلا يَشفع أحدٌ إلَّا بإذن الله، ولا يُسأل أحدٌ الشَّفاعةَ، وإنَّما تُطلَب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كأن يقول العبد: (اللَّهمَّ شفِّع فِيَّ نبيَّك محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ثمَّ ذكر المصنِّف أنَّه إذا زعم هذا المشبِّه أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطي الشَّفاعةَ وأنَّه يطلبه ممَّا أعطاه الله؛ **فجوابه من وجهين:**

* **أحدهما**: أنَّ الله الَّذي أعطاه الشَّفاعة نَهانا عن سؤاله إيَّاها، فجعلَ الشَّفاعةَ مِلكَه وحده سُبْحَانَهُ؛ فمن أطاع الله في إثبات الشَّفاعة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجب عليه أن يطيع

اللهِ في تركِ سؤاله إيَّاها.

* **والآخر**: أنَّ الشَّفاعة الَّتي أُعطيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحَّ أنَّ غيره أعطيها؛ فـ(الملائكة يشفعون، والأفراطَ يشفعون، والأولياءَ يشفعون)، و(**الأفراط**): الصِّغار الَّذين ماتوا قبل آبائهم.

فهؤلاء كلُّهم أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ الشَّفاعةَ.

فإذا زعم المشبِّه بعد ذلك أنَّ هؤلاء الَّذين أُعطوا الشَّفاعة فإنَّه يسألهم أيضًا إيَّاها؛ أَقرَّ على نفسه بالشِّرك؛ فهذا شرك أهل الجاهليَّة الأولى؛ فإنَّهم كانوا يدعون الأنبياء والأولياء والصَّالحين ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨].

فإذا سوَّى هذا المشبِّه المدَّعي أنَّه يفعل ذلك في طلب شفاعة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألحق به غيره من الشُّفعاء؛ فقد صار واقعًا في شرك أهل الجاهليَّة الأولى.

وإن امتنع عن سؤال هؤلاء الشَّفاعة فقال: أنا لا أسأل الملائكة، ولا الأولياء، ولا الصَّالحين، ولا الأفراط أن يشفعوا؛ فيُقال له: إذا امتنعتَ عن سؤالهم الشَّفاعةَ، وجب عليك أيضًا أن تمتنع عن سؤال النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّفاعة؛ فالباب واحدٌ؛ فالله أعطى الشُّفعاء الشَّفاعة، ونَهانا عن سؤالهم إيَّاها؛ فنُقِرُّ لهم بالشَّفاعة، ولا نسألها أحدًا منهم.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فإن قال: أنا لا أُشرك بالله شيئًا، حاشا وكلَّا، ولكنَّ الالتجاء إلى الصَّالحين ليس بشركٍ.

فقُل له: إذا كنتَ تقِرُّ أنَّ الله حرَّم الشِّرك أعظم من تحريم الزِّنى، وتقِرُّ أنَّ الله لا يغفره؛ فما هذا الأمر الَّذي عظَّمه الله وذكر أنَّه لا يغفره؟!

فإنَّه لا يدري.

فقُل له: كيف تُبرِّئ نفسَك من الشِّرك وأنت لا تعرفه؟ كيف يحرِّم الله عليك هذا ويذكر أنَّه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظنُّ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُحرِّمه هذا التَّحريم ولا يُبيِّنه لنا؟!

فإن قال: الشِّركُ عبادةُ الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنامَ.

فقُل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظنُّ أنَّهم يعتقدون أنَّ تلك الأحجار والأخشاب والأشجار تخلق وترزق وتدبِّر أمرَ مَن دعاها؟! فهذا يكذِّبه القرآن.

وإن قال: إنَّهم يقصدون خشبةً، أو حجرًا، أو بُنْيَةً على قبرٍ أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون له يقولون: إنَّه يقرِّبنا إلى الله زلفى، ويَدفع عنَّا اللهُ ببركته، ويعطينا ببركته.

فقُل: صدقتَ، وهذا هو فعلُكم عند الأحجار والبِنَا الَّذي على القبور وغيرها.

فهذا أقرَّ أنَّ فعلَهم هذا هو عبادة الأصنام؛ وهو المطلوب.

وأيضًا: قولُك: الشِّرك عبادة الأصنام، هل مرادك أنَّ الشِّرك مخصوصٌ بِهذا، وأنَّ الاعتمادَ على الصَّالحين ودعاءَهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يردُّه ما ذكر الله تَعَالَىٰ في كتابه مِن كُفر مَن تعلَّق على الملائكة أو عيسى أو الصَّالحين.

فلا بدَّ أن يُقِرَّ لك أنَّ مَن أشرك في عبادة الله أحدًا من الصَّالحين فهو الشِّرك المذكور في القرآن؛ وهذا هو المطلوب.

## قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهةً أخرى لهؤلاء؛ وهي أنَّهم يَدَّعون البراءة من الشِّرك، ويقولون: إنَّ (الالتجاء إلى الصَّالحين ليس بشركٍ).

**ودفع هذه الشُّبهة بالسُّؤالات الأربعة الَّتي ذكرها المصنِّف:**

* **فأوَّلها**: سؤاله أنَّه إذا كان يقِرُّ بحرمة الشِّرك، فما هو الشِّرك الَّذي ذكر الله أنَّه لا يغفره؟

قال المصنِّف: (فإنَّه لا يدري) أي لا يدري حقيقة الشِّرك.

* **وثانيها**: أن يُقال له: (كيف تبرِّئ نفسك من الشِّرك وأنت لا تعرفه؟)، وكيف يُحرِّمه الله (ويذكر أنَّه لا يغفره) وأنت (لا تسأل عنه)؟! فمن المُحال أن يكون أمرٌ بهذه المنزلة لا يبيِّنه الله تعالى.

* **وثالثها**: أنَّه إذا زعم أنَّ الشِّرك عبادة الأصنام فقط؛ قيل له: (ما معنى عبادة الأصنام؟)؛ هل هو اعتقاد أنَّ الرُّبوبيَّة - من الخلق، والرَّزق، والملك، والتَّدبير - لها؟ أم التَّوجُّه إليها بالأعمال الصَّالحة - من الذَّبح، والنَّذر، والدُّعاء، والاستغاثة بها -؟

* **ورابعها**: أن يقال له: (قولك: الشِّرك عبادة الأصنام، هل مرادُك) اختصاصُ الشّرك بها، وأنَّ من دعا غيرها لا يكون مشركًا؟

فإن زَعم ذلك قيل له: في القرآن ما يكذِّب ذلك؛ فإنَّ الله جعل دعاء الأنبياء والملائكة والصَّالحين شركًا؛ فلا ينحصر الشِّرك في عبادة الأصنام ودعائِها.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وسرُّ المسألة: أنَّه إذا قال: أنا لا أشرك بالله شيئًا.

فقل له: وما الشِّرك بالله؟ فسِّره لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقُل له: وما عبادة الأصنام؟ فسِّرها لي.

وإن قال: أنا لا أعبد إلَّا الله.

فقُل: ما معنى عبادة الله وحدَه لا شريك له؟ فسِّرها لي.

فإن فسَّرها بما بيَّنتُه؛ فهو المطلوب.

وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفه؟!

وإن فسَّرها بغير معناها؛ بيَّنتَ له الآيات الواضحات في معنى الشِّرك بالله وعبادة الأوثان أنَّه الَّذي يفعلون في هذا الزَّمان بعينه.

وأنَّ عبادة الله وحده لا شريك له هي الَّتي يُنكِرون علينا ويصيحون منه؛ كما صاح إخوانُهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص].

## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما تقدَّم (سرَّ المسألة)؛ يعني الأصل الَّذي يجمعها وترجع إليه.

فأعاد جواب شبهةِ أنَّ الشِّرك عبادة الأصنام على سبيل اللَّفِّ بعد النَّشر؛ أي على سبيل الطَّيِّ المجمَل بعد النَّشر المفصَّل.

**فضمَّ متفرِّق الجواب الَّذي تقدَّم بردِّه إلى سؤالاتٍ ثلاثةٍ:**

**الأوَّل**: (ما الشِّرك بالله؟).

**الثَّاني**: (ما عبادة الأصنام؟).

**الثَّالث**: (ما معنى عبادة الله؟).

**والجواب المتوقَّع صدوره من المخالف واحدٌ من ثلاثة أجوبةٍ:**

* **الأوَّل**: أن يفسِّرها بما بيَّنه المصنِّف فيما سبق؛ وهو المطلوب؛ فيتبيَّن له الحقُّ؛ فإمَّا أن يتَّبعه، وإمَّا أن يتكبَّر عليه.

* **والثَّاني**: ألَّا يعرف تفسيرَها؛ فيُقال له: كيف تدَّعي شيئًا لا تعرفه؟!

* **والثَّالث**: أن يُفسِّرها بغير معناها؛ فتُبيِّنَ له الآيات القرآنيَّة الواضحةَ في معنى الشِّرك، وعبادة الأصنام، وعبادة الله؛ المبيِّنةَ أنَّ ما هم عليه هو ما كان عليه أهل الجاهليَّة الأولى.



## قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فإن قال: إنَّهم لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنَّما كفروا لمَّا قالوا: الملائكة بنات الله، ونحن لم نقل: إنَّ عبدَ القادر ولا غيرَه ابنُ الله.

فالجواب: أنَّ نسبة الولد إلى الله تَعَالَىٰ كفرٌ مستقِلٌّ؛ قال الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص]، والأحد: الَّذي لا نظير له، والصَّمد: المقصود في الحوائج؛ فمَن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد آخر السُّورة.

ثمَّ قال تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③﴾ [الإخلاص]؛ فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد أوَّل السُّورة.

وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:٩١]؛ ففرَّق بين النَّوعين، وجَعل كلًّا منهما كفرًا مستقلًّا.

وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام:١٠٠]؛ ففرَّق بين الكفرين.

والدَّليل على هذا أيضًا: أنَّ الَّذين كفروا بدعاء اللَّاتِّ - مع كونه رجلًا صالحًا - لم يجعلوه ابنَ الله، والَّذين كفروا بعبادة الجنِّ لم يجعلوهم كذلك.

وكذلك العلماء أيضًا في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتدِّ: أنَّ المسلم إذا زعم أنَّ لله ولدًا فهو مرتدٌّ، وإن أشرك بالله فهو مرتدٌّ؛ فيفرِّقون بين النَّوعين، وهذا في غاية الوضوح.

وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⑥②﴾ [يونس].

فقُل: هذا هو الحقُّ، ولكن لا يُعبَدون، ونحن لا نُنكِر إلَّا عبادتَهم مع الله، وإشراكَهم

معه، وإلَّا فالواجب عليك حبُّهم واتِّباعُهم والإقرار بكراماتِهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلَّا أهل البدع والضَّلالات.

ودين الله وسطٌ بين طرفين، وهدًى بين ضلالتين، وحقٌّ بين باطلين.

## قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة من مجادلات المشبِّهين قولَهم: إنَّ مشركي العرب (لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنَّما كفروا لمَّا قالوا: الملائكة بنات الله)، وأنَّهم هم لم يقولوا: (إنَّ عبدَ القادر ولا غيرَه ابن الله)، فكيف يُكفَّرون؟

**ومرادهم بـــــ(عبد القادر)**: عبد القادر الجيلاني، وهو رجلٌ من صـالحي الحنابلة وعلمائِهم، ويعتقد فيه كثيرٌ من المتأخِّرين ما يعتقدون، ويجعلون له من عباداتهم ما يجعلون، وهو منهم بريء.

**وجواب باطِلِهم من أربعة وجوهٍ:**

* **أوَّلها**: (أنَّ نسبة الولد إلى الله تَعَالَى كفرٌ مستقِلٌّ؛ قال الله تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، وقال تَعَالَى: (﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص]).

- فالآية الأولى في إثبات العبادة له وحده.
- والآية الثَّانية في نفي كونه والدًا أو مولودًا.

فمَن جعل لله عَزَّوَجَلَّ ولدًا فهو كافرٌ؛ ولو لم يَعبُد ذلك الولد.

وكذلك مَن عبد غير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فهو كافرٌ.

* **وثانيها**: أنَّ الله فرَّق بين نوعين من الكفر: عبادةِ غيره، ونسـبةِ الولد إليه، (وجعل كلًّا منهما كفرًا مسـتقلًّا)؛ (قال الله تَعَالَىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١])، (وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٠]) أي اخترعوا له بنينَ وبناتٍ.

(ففرَّق بين الكفرين) في هاتين الآيتين.

* **وثالثها**: (أنَّ الَّذين كفروا بدعاء اللَّاتِّ) لم يجعلوه ابنًا لله، (والَّذين كفروا بعبادة الجنِّ لم يجعلوهم كذلك)؛ فكان (اللَّاتُّ) رجلًا صـالحًا مِن بني جنسـهم، وكان ممَّن يدعو الجنَّ مَن لا يزعم أنَّهم أبناء الله؛ وإن كان في العرب من يزعم ذلك.

* **ورابعها**: أنَّ العلماء (في جميع المذاهب الأربعة) المتبوعة - الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشَّـافعيَّة، والحنبليَّة - (يذكرون في باب حكم المرتدِّ: أنَّ المسـلم إذا زعم أنَّ لله ولدًا فهو مرتدٌّ، وإن أشـرك بالله فهو مرتدٌّ؛ فيفرِّقون بين) هذين (النَّوعين)؛ فيجعلون نسـبة الولد لله كفرًا، ويجعلون الشِّرك به عَزَّوَجَلَّ كفرًا.

فأولئك المشـركون الأوَّلون لم يكفروا بدعوى أنَّ لله عَزَّوَجَلَّ ولدًا، وإنَّما كفروا بدعاء غيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فإن قال المشـبِّه - - بعد ما تقدَّم -: (﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس]) يُعرِّض بذكر ما للأولياء من مقامٍ كريم، وأنَّ مَن يقول ذلك يغضُّ مِن مقامهم = فقُل مبيِّنًا قدرهم: (هذا هو الحقُّ)، لكنَّ الأولياء لا يُرفَعون فيُعبَدون، ولا يُخفَضون فيُهضَمون - أي يُمنَعون حقوقَهم -؛ بل لهم ما لهم من المقام والمنزلة الكريمة، إلَّا أنَّهم لا يدعون من دون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والأمر كما قال المصنِّف خاتمًا كلامه: (ودين الله وسطٌ بين طرفين، وهدًى بين ضلالتين، وحقٌّ بين باطلين)؛ وهي من جواهر كلامه.

فدين الله في (أوليائه): أنَّ لهم مقامًا حميدًا، ومنزلةً كريمةً؛ فيُصحَبون ويُنتَفع بهم، ولا يُعبَدون من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ **وهذا هو الوسط بين طرفين:**

* **أحدهما**: من يدعو أولئك الأولياء مِن دون الله؛ فيَتوجَّه إليهم بالدُّعاء، والنَّذر، والذَّبح.

* **والآخر**: مَن يَهضمهم حقَّهم ولا يَعرف لهم قدرهم، ولا يُنزِلهم ما لهم من المنزلة الَّتي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ لهم.

وكلا طرفي قصدِ الأمور ذميمٌ.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فإذا عرفتَ أنَّ هذا الَّذي يسمِّيه المشركون في زمننا (الاعتقاد) هو الشِّرك الَّذي أُنزِل فيه القرآن، وقاتلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عليه؛ فاعلم أنَّ شرك الأوَّلين أخفُّ مِن شرك أهل وقتنا بأمرين:

أحدهما: أنَّ الأوَّلين لا يُشرِكون ولا يدعون الملائكةَ أو الأولياء أو الأوثان مع الله إلَّا في الرَّخاء، وأمَّا في الشِّدَّة فيُخلِصون الدِّين لله؛ كما قال تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٦٥ ﴾ [العنكبوت]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ﴾ [الإسراء:٦٧]، وقال تَعَالَى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٤٠-٤١]، وقال تَعَالَى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ ...﴾ [الزُّمَر:٨] الآية، وقال تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ ...﴾ [لقمان:٣٢].

فمَن فهم هذه المسألةَ الَّتي وضَّحها الله في كتابه؛ وهي أنَّ المشركين الَّذين قاتلهم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعون الله ويدعون غيرَه في الرَّخاء، وأمَّا في الشِّدَّة فلا يدعون إلَّا الله وحدَه لا شريك له ويَنسون ساداتِهم = تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأوَّلين.

ولكن أين مَن يفهم قلبُه هذه المسألة فهمًا راسخًا؟! والله المستعان.

والأمر الثَّاني: أنَّ الأوَّلين يدعون مع الله أناسًا مقرَّبين عند الله؛ إمَّا نبيًّا، وإمَّا وليًّا، وإمَّا ملائكةً، أو يدعون أحجارًا وأشجارًا مطيعةً لله تَعَالَى ليست بعاصيةٍ، وأهل زماننا

يدعون مع الله أناسًا مِن أفسقِ النَّاس، والَّذين يدعونَهم هم الَّذين يحكون عنهم الفجور من الزِّنى والسَّرقة وترك الصَّلاة وغير ذلك.

والَّذي يعتقد في الصَّالح والَّذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر - أهونُ ممَّن يعتقد فيمن يُشاهِد فسقَه وفسادَه ويَشهد به.

## قَالَ الشَّارِحُ وفّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ العبد إذا عرف (أنَّ هذا الَّذي يسمِّيه المشركون في زمننا (الاعتقاد)) وهو تألُّه قلوبِهم لمعظَّميهم مِن الخلق (هو الشِّرك الَّذي أُنزِل فيه القرآن، وقاتل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ النّاس عليه) = **فإنَّه يُوجَد فرقان عظيمان بين شرك الأوَّلين وشرك المتأخِّرين:**

* **فالفرق الأوَّل:**

- أنَّ الأوَّلين يُشرِكون في الرَّخاء ويُخلِصون لله في الشِّدَّة.
- أمَّا المتأخِّرون: فيشركون بالله في الرَّخاء والشِّدَّة.

* **والفرق الثَّاني:**

- (أنَّ الأوَّلين) كانوا (يدعون مع الله أناسًا مقرَّبين) من الأنبياء والأولياء والصَّالحين، (أو يدعون أحجارًا وأشجارًا مطيعةً لله تعالى ليست بعاصيةٍ).
- وأمَّا المتأخِّرون: فإنّهم يدعون مع الله أناسًا من الفُسَّاق ممَّن يُحكَى عنهم الفجور والفسوق؛ فيعظِّمونَهم مع مشاهدتِهم فجورَهم؛ ابتغاءَ درءِ شرِّهم؛ فيَتخوَّفون على

أنفسهم الضَّررَ منهم؛ فيدعونَهم لدفع ضررِهم عنهم.

وفي شرح «القواعد الأربع» البيان المُستوفَى في الفرق بين شرك الأوَّلين وشرك المتأخِّرين من اثني عشر وجهًا.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إذا تحقَّقتَ أنَّ الَّذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحُّ عقولًا، وأخفُّ شركًا من هؤلاء؛ فاعلم أنَّ لهؤلاء شبهةً يُوردونَها على ما ذكرنا، وهي مِن أعظم شبههم؛ فأَصْغِ سمعَك لجوابِها.

وهي أنَّهم يقولون: إنَّ الَّذين نزل فيهم القرآنُ لا يشهدون ألَّا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ويكذِّبون رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُنكِرون البعثَ، ويُكذِّبون القرآنَ ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد ألَّا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ونصدِّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلِّي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟!

فالجواب: أنَّه لا خلاف بين العلماء كلِّهم أنَّ الرَّجل إذا صدَّق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيءٍ، وكذَّبه في شيءٍ؛ أنَّه كافرٌ لم يَدخُل في الإسلام.

وكذلك إذا آمَن ببعض القرآن وجحد بعضَه؛ كمن أقرَّ بالتَّوحيد وجحد وجوب الصَّلاة، أو أقرَّ بالتَّوحيد والصَّلاة وجحد وجوب الزَّكاة، أو أقرَّ بِهذا كلِّه وجحد وجوب الصَّوم، أو أقرَّ بِهذا كلِّه وجحد وجوب الحجِّ.

ولـمَّا لم يَنْقَد أناسٌ في زمن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحجِّ؛ أنزل الله تَعَالَى في حقِّهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

ومَن أقرَّ بِهذا كلِّه وجحد البعثَ؛ كَفر بالإجماع، وحلَّ دمُه ومالُه؛ كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النِّساء:١٥٠]، فإذا كان الله تَعَالَى قد صرَّح في كتابه أنَّ مَن آمن ببعضٍ وكفرَ ببعضٍ فهو كافرٌ حقًّا؛ زالت

هذه الشُّبهة.

وهذه هي الَّتي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الَّذي أرسلَ إلينا.

ويُقال: إذا كنتَ تقِرُّ أنَّ مَن صدَّق الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلِّ شيءٍ، وجَحد وجوب الصّلاة؛ فهو كافرٌ حلال الدَّم والمال بالإجماع؛ وكذلك إذا أقرَّ بكلِّ شيءٍ إلَّا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضانَ وصدَّق بذلك كلِّه، لا يُجحَد هذا، ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدَّمنا.

فمعلومٌ أنَّ التَّوحيد هو أعظم فريضةٍ جاء بها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أعظم من الصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ، فكيف إذا جَحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفرَ ولو عمل بكلِّ ما جاء به الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وإذا جحد التَّوحيد - الَّذي هو دين الرُّسل كلِّهم - لا يَكفُر؟

سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل!

ويُقال أيضًا لهؤلاء: أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلوا بني حَنيفةَ وقد أسلموا مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يشهدون ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله، ويصلُّون ويؤذِّنون.

فإن قال: إنَّهم يشهدون أنَّ مُسيلِمةَ نبيٌّ.

قُلْنا: هذا هو المطلوب؛ إذا كان مَن رفع رجلًا في رتبة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفر وحلَّ مالُه ودمُه، ولم تنفعه الشَّهادتان ولا الصَّلاة = فكيف بمن رَفع شَمْسانَ أو يوسفَ أو صحابيًّا أو نبيًّا أو غيرَهم في مرتبة جبَّار السَّماوات والأرض؟!

سبحانه! ما أعظم شأنه! ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾

[الرُّوم].

ويُقال أيضًا: الَّذين حرَّقهم عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالنَّار كلُّهم يدَّعون الإسلام، وهم من أصــحاب عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتعلَّموا العلم من الصَّــحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثلَ الاعتقاد في يوســفَ وشَــمْســانَ وأمثالهما، فكيف أجمع الصَّــحابة على قتلهم وكُفرهم؟!

أتظنُّون أنَّ الصَّــحابة يُكفِّرون المســلمين؟! أم تظنُّون أنَّ الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضرُّ، والاعتقادَ في عليِّ بن أبي طالبٍ يُكفِّر؟!

ويُقَال أيضًا: بنو عُبيدٍ القَدَّاحِ الَّذين ملكوا المغرب ومصرَ في زمن بني العبَّاس كلُّهم يشــهدون ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رســول الله، ويدَّعون الإســلامَ، ويصــلُّون الجمعة والجماعة، فلمَّا أظهروا مخالفة الشَّـريعة في أشـياءَ دون ما نحن فيه؛ أجمع العلماء على كفرِهم وقتالهم، وأنَّ بلادَهم بلادُ حربٍ، وغزاهم المسلمون حتَّى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويُقال أيضًــا: إذا كان المشــركون الأوَّلون لم يكفروا إلَّا لأنَّهم جمعوا بين الشِّــرك وتكذيب الرَّســول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك = فما معنى الباب الَّذي ذكره العلماء في كلِّ مذهبٍ: (باب حكم المرتدِّ) - وهو المســلم الَّذي يكفر بعد إســلامه -، ثمَّ ذكروا أشياءَ كثيرةً، كلُّ نوعٍ منها يُكفِّر ويُحِلُّ دم الرَّجل وماله، حتَّى إنَّهم ذكروا أشياءَ يسيرةً - عند مَن فعلَها -، مثلَ كلمةٍ يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمةٍ يذكرها على وجه المَزْح واللَّعب.

ويُقال أيضًــا: الَّذين قال الله فيهم: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ

وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التَّوبة:٧٤]، أمَا سمعتَ اللهَ كفَّرهم بكلمةٍ؛ مع كونِهم في زمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجاهدون معه، ويصلُّون معه، ويزكُّون، ويحجُّون، ويوحِّدون الله.

وكذلك الَّذين قال الله تَعَالَى فيهم: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التَّوبة]، فهؤلاء الَّذين صرَّح الله فيهم أنَّهم كفروا بعد إيمانِهم، وهم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوكَ، قالوا كلمةً ذكروا أنَّهم قالوها على وجه المَزْح.

فتأمَّل هذه الشُّبهة، وهي قولهم: (تكفِّرون المسلمين؛ أناسًا يشهدون ألَّا إله إلَّا الله، ويصلُّون، ويصومون، ويحجُّون)، ثمَّ تأمَّل جوابَها؛ فإنَّه مِن أنفع ما في هذه الأوراق.

ومِن الدَّليل على ذلك أيضًا: ما حَكى الله عَزَّ وَجَلَّ عن بني إسرائيلَ - مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم - أنَّهم قالوا لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقال أناسٌ من الصَّحابة: «اجعَل لنا يا رسول الله ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ»؛ فحلف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ هذا مثلُ قول بني إسرائيلَ لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾.

ولكن للمشركين شبهةٌ يُدْلون بِها عند هذه القصَّة، وهي أنَّهم يقولون: إنَّ بني إسرائيلَ لم يكفروا بذلك، وكذلك الَّذين سألوا النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل لهم ذات أنواطٍ لم يكفروا.

فالجواب: أن تقول: إنَّ بني إسرائيلَ لم يفعلوا ذلك، وكذلك الَّذين سألوا النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلوا ذلك، ولا خلافَ أنَّ بني إسرائيلَ لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلافَ أنَّ الَّذين نَهاهم النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو لم يُطيعوه واتَّخذوا ذات

أنواطٍ بعد نَهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكنَّ هذه القصَّة تفيد أنَّ المسلمَ - بل العالمَ - قد يقع في أنواعٍ من الشِّرك لا يدري عنها؛ فتفيد التَّعلُّمَ والتَّحرُّزَ، ومعرفةَ أنَّ قول الجاهل: (التَّوحيد فهمناه) أنَّ هذا مِن أكبر الجهل ومكايد الشَّيطان.

وتفيد أيضًا: أنَّ المسلم المجتهد الَّذي إذا تكلَّم بكلامٍ كفرٍ وهو لا يدري، فنُبِّه على ذلك، وتاب مِن ساعته = أنَّه لا يَكفُر؛ كما فعل بنو إسرائيلَ، والَّذين سألوا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وتفيد أيضًا: أنَّه لو لم يَكفُر فإنَّه يُغلَّظ عليه الكلامُ تغليظًا شديدًا؛ كما فعل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا فرغ المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ من إبطال الشُّبَه المتعلِّقة بدعاوى مَن يزعم أنَّ تلك الأفعال ليست شركًا، أَتْبعها بإبطال شُبَه مَن يزعم أنَّ هؤلاء وإن وقعت منهم تلك الأفعال الشِّركيَّة فإنَّهم لا يَكفُرون ولا يُقاتَلون.

وهذه الجملة - مِن قوله في إبطال هذه الدَّعوى - هي (مِن أنفع ما في هذه الأوراق) كما قال.

فإنَّ كثيرًا من أهل العلم وافقوه على أنَّ أفعال أولئك من المتأخِّرين شركٌ؛ فحَكموا على أنَّ التَّوجُّه إلى الصَّالحين ودعاءَهم والذَّبح لهم والنَّذر والاستغاثة بِهم الَّذي فشا

في المتأخِّرين هو من الشِّرك، وأَحْجموا عن تكفير أولئك وقتالهم.

**فذكر المصنِّف هنا ما يدلُّ على كفرهم وقتالِهم من وجوهٍ ثمانيةٍ:**

* **الوجه الأوَّل**: أنَّ مَن آمن ببعض الأحكام وكفر ببعضها فهو كافرٌ بالجميع؛ كمن أقرّ بالصَّلاة وأنكر الحجَّ، أو أقرَّ بالحجِّ وأنكر الزَّكاة؛ فلا يُقبَل منه إيمانه بما آمن به، ويصير كافرًا؛ فكذلك من آمن بالصَّلاة ولم يُؤمِن بجعل الدُّعاء لله وحدَه؛ فإنَّه يكون كافرًا.

* **والوجه الثَّاني**: إطْباق العلماء [1] - ومنهم الصَّحابة - على تكفير مَن وقعت منهم بعض أعمال الكفر وقتالِهم؛ وهو استدلالٌ بالإجماع العمليِّ الواقع من الصَّحابة فمَن بعدهم من العلماءِ في وقائع عدَّةٍ؛ **ذكر المصنِّف منها ثلاثَ وقائعَ:**

- **الواقعة الأولى**: واقعة الصَّحابة مع بني حنيفةَ؛ فإنَّهم كانوا (يشهدون ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، ويصلُّون ويؤذِّنون)، لكنَّهم كانوا يزعمون أنَّ مسيلِمةَ نبيٌّ أيضًا؛ فأكْفرهم الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقاتلوهم.

ووقع هذا من الصَّحابة في حقِّ مَن رفع أحدًا إلى مقام النُّبوَّة والرِّسالة؛ فكيف بمن رفع أحدًا إلى مقام الألوهيَّة، فجعل له ما جعل من الدُّعاء والنَّذر والاستعانة وغير ذلك من أنواع العبادة.

- **والواقعة الثَّانية**: واقعة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تكفيره الغالين فيه؛ الزَّاعمين ما زعموا فيه؛ فأَكْفرهم عليٌّ وحرَّقهم بالنَّار.

(١) أي إجماعُهم.

ووافقه الصَّــحابة على تكفيرهم، ولم يعيبوا عليه ذلك، وعاب مَن عاب عليه منهم تحريقهم بالنَّار، ورأى أنَّ حقّهم قتلُهم بالسَّيف.

فهم يوافقونه في التَّكفير والقتل، وخالفه مَن خالفه في آلة القتل.

- **والواقعة الثَّالثة**: واقعة ظهور العُبيديِّين واستيلائهم على مصر وغيرها من البلدان، وكانوا يَتسـمَّون زورًا بـــ(الفاطميِّين)، ووقع منهم ما وقع ممَّا خرجوا به عن الشَّــرع؛ فأَكْفرهم العلماء إجماعًا؛ نقل إجماعهم القاضي عياضٌ اليحصبيُّ وغيره

فهذه الوقائع تدلُّ على تحقُّق الإجماع العمليِّ في أنَّ مَن وقع منه ما يُكفِّره فإنَّه يُكفَّر وإن زعم أنَّه مسلمٌ، ويقاتَل على ذلك؛ قطعًا لدابره ومَحْقًا لشرِّه.

* **والوجه الثَّالث**: أنَّ العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في كلِّ مذهب عقدوا بابًا يقال له (باب الرِّدَّة)؛ يذكرون فيه نواقضَ الإسلام.

**ومقصودهم من عقد هذا الباب**: بيان أنَّ المسلم قد يكفر بقولٍ، أو فعلٍ، أو اعتقادٍ، أو شكٍّ، ولو لم يكن هذا مرادُهم لم يكن للباب فائدةٌ؛ فـــ**(المرتدُّ) عندهم** هو المسلم الَّذي انتقض دينه بقولٍ، أو فعلٍ، أو اعتقادٍ، أو شـكٍّ؛ فهو معدودٌ أصـلًا من المسـلمين، ثمَّ تَلبَّس بما تَلبَّس به فيُحكَم عليه بأنَّه صار من الكافرين.

* **والوجه الرَّابع**: أنَّ الله حكم بكفر أناسٍ لكلمةٍ تكلَّموا بها؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]؛ فأَكْفرهم الله مع أنَّهم كانوا مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويصلُّون ويصومون ويجاهدون.

* **والوجه الخامس**: ما وقع من المسـتهزئين من الكلام في غزوة تبوكَ؛ فأكفرهم الله عَزَّ وَجَلَّ، وكانوا غزاةً مقاتلين مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* **والوجه السَّادس**: أنَّ الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون ألَّا إله إلَّا الله، ويكذِّبون الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهؤلاء المتأخِّرون يشهدون ألَّا إله إلَّا الله، ويصدِّقون الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنَّهم يصدِّقونه في شيءٍ ويكذِّبونه في شيءٍ آخر.

وهم بتكذيبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافرون مرتدُّون؛ كمن يصدِّقه في إثبات الشَّفاعة له، ويُكذِّبه في إفراد الله بالدُّعاء والعبادة.

* **والوجه السَّابع**: أنَّ مَن جحد وجوب الحجِّ كفر؛ وإن كان يشهد ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ويصلِّي ويصوم؛ كما وقع في سبب نزول هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]: أنَّ قومًا أقرُّوا بالصَّلاة وغيرها، ولمَّا أُمِروا بالحجِّ أبوا؛ فنزلت الآية في كفرهم.

ويُروَى في هذا آثارٌ عن جماعةٍ مِن التَّابعين.

والآية كيفما كانَ دالَّةٌ على كُفر مَن جحد وجوب الحجِّ؛ فلو أقرَّ بالصَّلاة والصِّيام والزَّكاة وجحد الحجَّ فإنَّه كافرٌ.

وإذا كان هذا في حقِّ مَن جحد شيئًا دون توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فكيف إذا كان جاحدًا التَّوحيد؟!

* **والوجه الثَّامن**: حديث (ذات أنواطٍ) المرويُّ عند التِّرمذيِّ مِن حديث أبي واقدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده صحيحٌ، وفيه: أنَّ بني إسرائيلَ وقعوا في الكفر لمَّا قالوا لموسى: (﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨])، فزجرهم موسى عن ذلك، ونَهاهم عنه، ووقع نظيرُه مع من كانوا مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة حُنينٍ؛ فكان فيهم من سأل النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل لهم ذاتَ أنواطٍ؛ أي شجرةً عظيمةً يُعلِّقون بها أسلحتَهم

تبَرُّكًا بها؛ فزجرهم النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونَهاهم، وبيَّن أنَّ هذا هو كقول أصحاب موسى لموسى عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

فهذه الأدلَّة الثَّمانية كلُّها تدلُّ على أنَّ مَن وقع في شــيءٍ من أنواع الكفر فإنَّه يكفر، وأنَّه يستحقُّ القتل والقتال بذلك؛ دفعًا لشرِّه وقطعًا لدابره.

**وختم المصنِّف بذكر ثلاث فوائدَ من قصَّة (ذات أنواطٍ):**

**فالفائدة الأولى:** الحذر من الشِّرك بالخوف منه.

**والفائدة الثَّانية:** الإعلام بأنَّ العبد إذا وقع منه شيءٌ من أقوال الكفر وأعمالِه، ثمَّ نُبِّه، وتاب من ساعتِه = فإنَّه لا يكفر.

**والفائدة الثَّالثة:** أنَّ مَن لم يكفر بكلمة الكفر إذا قالها جهلًا فإنَّه لا يُتسـاهَل معه؛ بل يُغلَّظ عليه ويُنكَر عليه إنكارًا شديدًا؛ لشدَّة الأمر الَّذي جاء به ووقع منه.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وللمشـركين شـبهةٌ أخرى، وهي أنَّهم يقولون: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر على أسـامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قتل مَن قال: لا إله إلَّا الله، وقال: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!**»، وكذلك قوله: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وكذلك أحاديثُ أخرى في الكفِّ عمَّن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أنَّ مَن قالها لا يَكفُر، ولا يُقتَل؛ ولو فعل ما فعل.

فيُقال لهؤلاء الجهلة المشـركين: معلومٌ أنَّ رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل اليهود وسَباهم وهم يقولون: لا إله إلَّا الله، وأنَّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلوا بني حَنيفةَ وهم يشهدون ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ويصلُّون ويدَّعون الإسلام، وكذلك الَّذين حرَّقهم عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالنَّار.

وهؤلاء الجهلة مقِرُّون أنَّ مَن أنكر البعث كَفر وقُتِل؛ ولو قال: لا إله إلَّا الله، وأنَّ مَن أنكر شيئًا مِن أركان الإسلام كَفر وقُتِل؛ ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من هذه الفروع، وتنفعه إذا جحد التَّوحيد الَّذي هو أسـاس دين الرُّسـل ورأسُـه؟! ولكنَّ أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث:

فأمَّا حديث أسامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فإنَّه قتل رجلًا ادَّعى الإسلام بسبب أنَّه ظنَّ أنَّه ما ادَّعاه إلَّا خوفًا على دمه وماله.

والرَّجل إذا أظهر الإسـلام وجب الكفُّ عنه حتَّى يَتبيَّن منه ما يخالف ذلك، وأَنزل الله تَعَالَى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النِّساء:٩٤] الآية؛ أي تثبَّتوا، فالآية تدلُّ على أنَّه يجب الكفُّ عنه والتَّثبُّت، فإن تبيَّن منه بعد ذلك ما يخالف

الإســلامَ قُتِل؛ لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النِّسـاء:٩٤]، ولو كان لا يُقتَل إذا قالها لم يكن للتَّثبُّت معنًى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثالُه: معناه ما ذكرتُ أنَّ مَن أظهر الإسـلام والتَّوحيد وجب الكفُّ عنه؛ إلَّا أن يتبيَّن منه ما يناقض ذلك.

والدَّليل على هذا: أنَّ رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الَّذي قال: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وقال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» = هو الَّذي قال في الخوارج: «**أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»؛ مع كونِهم مِن أكثر النَّاس عبادةً تكبيرًا وتَهليلًا، حتَّى إنَّ الصَّـحابة يَحقِرون أنفسَـهم عندهم، وهم تعلَّموا العلم من الصَّـحابة، فلم تنفعهم (لا إله إلَّا الله)، ولا كثرة العبادة، ولا ادِّعاء الإسلام لمَّا ظهر منهم مخالفة الشَّريعة.

وكذلك ما ذَكرنا مِن قتال اليهود، وقتال الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بني حَنيفةَ، وكذلك أراد النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يغزو بني المُصْطَلِق لمَّا أخبره رجلٌ أنَّهم منعوا الزَّكاة حتَّى أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ...﴾ [الحُجُرات:٦] الآية، وكان الرَّجل كاذبًا عليهم.

فكلُّ هذا يدلُّ على أنَّ مراد النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الأحاديث الواردة: ما ذَكرنا.

## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصـنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ شـبهةً أخرى لهؤلاء؛ (وهي أنَّهم يقولون: إنَّ النَّبيَّ

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر على أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتل مَن قال: لا إله إلَّا الله، وقال: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!**»، وكذلك قوله: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وكذلك أحاديثُ أخرى في الكفِّ عمَّن قالها.

ومراد هؤلاء: أنَّ مَن قالها لا يَكفُر، ولا يُقتَل؛ ولو فعل ما فعل).

**وبيَّن المصنِّف أنَّ القائلين بهذه الشُّبهة مكابرون؛ لأربعة أمورٍ:**

* **أوَّلها**: أنَّهم يقولون هذا مع علمِهم أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قاتل اليهود) وكانوا (يقولون: لا إله إلَّا الله).

* **وثانيها**: أنَّهم يقولون هذا مع علمِهم أنَّ الصَّحابة (قاتلوا بني حَنيفةَ) وهم يقولون: (لا إله إلَّا الله).

* **وثالثها**: أنَّهم يقولون هذا مع علمِهم أنَّ عليًّا حرَّق مَن حرَّق وهم يقولون: (لا إله إلَّا الله).

* **ورابعها**: أنَّهم يقولون هذا مع علمهم (أنَّ مَن أنكر البعث كَفر وقُتِل؛ ولو قال: لا إله إلَّا الله، وأنَّ مَن أنكر شيئًا مِن أركان الإسلام كَفر وقُتِل؛ ولو) قال: (لا إله إلَّا الله).

وإذا كانت لا تنفعُه مع جحده شيئًا من أركانه العمليَّة؛ فأولى ألَّا تنفعَه إذا جحد أصل الدِّين؛ وهو توحيد الله.

ثمَّ بيَّن المصنِّف حقيقة الأمر؛ فقال: (ولكنَّ أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث).

**فالأحاديث المذكورة في هذا الباب**: يُراد بِها الإمساك عمَّن ثبتت له عِصمة الحال.

**فإنَّ عصمة العبد في دمه وماله وعِرضه نوعان:**

- **أحدهما**: عِصمة الحال؛ وهي العصمة الَّتي تثبت له إذا قال: لا إله إلَّا الله؛ فيُمسَك عنه حتَّى يَتبيَّن أمرُه.

- **والآخر**: عِصمة المآل - أي العاقبة -؛ وهي تثبت له إذا التزم معنى (لا إله إلَّا الله)؛ فإذا ظهر منه ما يخالف معناها كَفَر وقُتِل؛ ولو قال: لا إله إلَّا الله.

ثمَّ ذكر المصنِّف **أربعة أدلَّةٍ تدلُّ على صحَّة فهم الأحاديث وفق ما تَقدَّم**، وأنَّ المقصود هو الإمساك في عِصمة الحال، وأمَّا بقاء عصمة المآل فمناطٌ ببقاء التزامه بـ(لا إله إلَّا الله):

**أوَّلها**: (أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذي قال: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وقال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» = هو الَّذي) أمر بقتال الخوارج وهم يقولون: لا إله إلَّا الله.

**وثانيها**: ما تقدَّم مِن قتاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهودَ وهم يقولون: لا إله إلَّا الله؛ فلم يكن مجرَّد قولها عاصمًا دماءَهم وأموالَهم وأعراضَهم.

**وثالثها**: ما تقدَّم مِن قتال الصَّحابة بني حَنيفةَ وهم يقولون: لا إله إلَّا الله؛ فإنَّهم اقترفوا أعمالًا زالت بها عنهم عِصمة المآل؛ إذ يقولون: مُسيلِمةُ رسولُ الله.

**ورابعها**: قصَّة بني المُصطَلِق؛ وهم قبيلةٌ من العرب دخلوا الإسلام، وبَعث إليهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساعيَه يجبي زكاتَهم - أي يجمعها -، فرجع عنهم وقال: إنَّهم منعوا الزَّكاة؛ فهمَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتالهم مع أنَّهم يقولون: لا إله إلَّا الله، وهم لم يمنعوا حقَّ الله في توحيده، فمن منع حقَّ الله في توحيده أولى في قتاله.

## قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ولهم شبهةٌ أخرى: وهي ما ذكر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ النَّاس يوم القيامة يستغيثون بآدمَ، ثمَّ بنوحٍ، ثمَّ بإبراهيمَ، ثمَّ بموسى، ثمَّ بعيسى؛ فكلُّهم يعتذرون حتَّى ينتهوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: فهذا يدلُّ على أنَّ الاستغاثة بغير الله ليست شركًا.

فالجواب: أن تقول: سبحان مَن طَبع على قلوب أعدائه! فإنَّ الاستغاثة بالمخلوق على ما يَقْدِر عليه لا نُنكِرها؛ كما قال تَعَالَى في قصَّة موسى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيره في أشياءَ يقدر عليها المخلوقُ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة الَّتي يفعلونَها عند قبور الأولياء وغيرهم، أو في غَيْبَتهم في الأشياء الَّتي لا يَقْدِر عليها المخلوق، ولا يَقْدِر عليها إلَّا الله تَعَالَى.

إذا ثبت ذلك؛ فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا اللهَ أن يحاسب النَّاس حتَّى يستريح أهل الجنَّة من كَرْب الموقف؛ وهذا جائزٌ في الدُّنيا والآخرة، أن تأتي عند رجلٍ صالحٍ حيٍّ يجالسُك ويسمعُ كلامك تقول له: ادعُ اللهَ لي؛ كما كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألونه في حياته؛ في الاستسقاء وغيرِه، وأمَّا بعد موته فحاشا وكلَّا أنَّهم سألوه ذلك عند قبره؛ بل أنكر السَّلف على مَن قصد دعاءَ الله عند قبره، فكيف دعاؤُه نفسِه؟!



## قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا شبهةٌ أخرى مِن شبه المشبِّهين في توحيد العبادة: أنَّهم يستدلُّون بـ (حديث الشَّفاعة الطَّويل) الَّذي يستغيث فيه النَّاس بالأنبياء، فيعتذروا كلُّهم حتَّى ترجع إلى نبيِّنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فزعم أولئك المتهوِّكون أنَّ الحديث (يدلُّ على أنَّ الاستغاثة بغير الله ليست شركًا)؛ إذ تقع للنَّاس مع الأنبياء بلا نكيرٍ منهم عليهم.

**وبطلان هذه الشُّبهة**: ببيان أنَّ ما فعلوه ليس مِن الاستغاثة الشِّركيَّة؛ فإنَّ النَّاس يستغيثون حينئذٍ:

- ✓ بحيٍّ.
- ✓ حاضرٍ.
- ✓ قادرٍ فيما سُئِل فيه.

ولا يُنكِر هذا أحدٌ من المسلمين.

**وإنَّما الشَّأن**: في الاستغاثة بالموتى، أو الغائبين، أو العاجِزين عمَّا سُئِلوا فيه؛ فهذه هي الاستغاثة الشِّركيَّة الَّتي يُنكِرها أهل التَّوحيد؛ للآيات والأحاديث الواردة في ذلك.



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهم شــبهةٌ أخرى: وهي قصَّــة إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا أُلقي في النَّار فاعترَض له جَبرائيلُ في الهواء، فقال: ألك حاجةٌ؟ فقال إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أمَّا إليك فلا.

قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجَبرائيلَ شركًا لم يَعْرِضها على إبراهيمَ!

فالجواب: أنَّ هذا مِن جنس الشُّــبهة الأولى؛ فإنَّ جَبرائيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرض عليه أن ينفعه بأمرٍ يقدر عليه، فإنَّه كما قال الله تَعَالَى فيه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النَّجم]؛ فلو أذن اللهُ له أن يأخذ نارَ إبراهيمَ وما حولَها من الأرض والجبال ويُلقيها في المشــرق أو المغرب لَفعَلَ، ولو أمرَه اللهُ أن يَضــع إبراهيمَ عنهم في مكانٍ بعيدٍ لَفعلَ، ولو أمره أن يرفعه إلى السَّماء لَفعلَ.

وهذا كرجلٍ غنيٍّ له مالٌ كثيرٌ، يرى رجلًا محتاجًا؛ فيَعرِض عليه أن يُقرِضــه أو يَهَبه شيئًا يقضي به حاجتَه، فيأبى ذلك الرَّجل المحتاج أن يأخذ، ويصبرُ حتَّى يأتيَه الله برزقٍ منه لا منَّةَ فيه لأحدٍ.

فأين هذا مِن استغاثة العبادة والشِّرك لو كانوا يفقهون؟!



## قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

ختم المصــنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر شــبهةٍ من مقالات المُبطِلين في توحيد العبادة؛ وهي استدلالهم بـــ(قصَّة إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا أُلقي في النَّار فاعترَض له جَبرائيلُ في الهواء، فقال: ألك حاجةٌ؟ فقال إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أمَّا إليك فلا).

**وبطلان هذه الشُّبهة من جهتين:**

**إحداهما:** مِن جهة الرِّواية؛ وهي أنَّها قصَّةٌ لا تصحُّ ولا تثبت.

**والأخرى:** من جهة الدِّراية؛ وهي أنَّ قول جبريلَ - لو ثبتَ -: (ألك حاجةٌ؟) هو من عَرْض الحيِّ الحاضِر القادر، وليس هذا من الاستغاثة الشِّركيَّة؛ فإنَّ جبريلَ كان حيًّا حاضرًا قادرًا على ما يُسأَل فيه؛ فأنَّى هذا وما عليه المشركون الَّذين يستغيثون بالأموات والغائبين والعاجزين الَّذين لا يَقدِرون على ما يُسأَلون فيه؟!



## قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ولْنختِم الكتابَ بذكر مسألةٍ عظيمةٍ مهمَّةٍ تُفهَم بما تقدَّم، ولكن نُفرِد لها الكلامَ؛ لعظم شأنِها، ولكثرة الغلط فيها؛ فنقول:

لا خلافَ أنَّ التَّوحيد لابدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل، فإن اختلَّ شيءٌ من هذا لم يكن الرَّجل مسلمًا، فإن عَرف التَّوحيد ولم يعمل به فهو كافرٌ معانِدٌ كفرعونَ وإبليسَ وأمثالهما.

وهذا يَغْلَط فيه كثيرٌ مِن النَّاس يقولون: هذا حقٌّ، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنَّه الحقُّ، ولكن لا نَقْدِر أن نفعلَه، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلَّا مَن وافقهم، وغير ذلك من الأعذار.

ولم يعرفِ المسكين أنَّ غالب أئمَّة الكفر يعرفون الحقَّ، ولم يتركوه إلَّا لشيءٍ من الأعذار؛ كما قال تَعَالَى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التَّوبة:٩]، وغير ذلك من الآيات؛ كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦].

فإن عملَ بالتَّوحيد عملًا ظاهرًا وهو لا يفهم ولا يعتقد بقلبه فهو منافقٌ، وهو شرٌّ مِن الكافر الخالص؛ كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء:١٤٥].

وهذه مسألة كبيرةٌ طويلةٌ، تَبِينُ لك إذا تَأمَّلْتها في ألسنة النَّاس.

ترى مَن يعرف الحقَّ ويترك العملَ به؛ لخوف نَقص دنياه، أو جاهِه، أو ملكِه، أو مُداراةً.

وترى مَن يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألتَه عمَّا يعتقده بقلبه إذا هو لا يعرفه.

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله تَعَالَىٰ:

أولاهما: ما تقدَّم؛ وهي قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ﴾ [التَّوبة:٦٦].

فإذا تحقَّقت أنَّ بعض الصَّحابة الَّذين غَزَوُا الرُّوم مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كفروا بسبب كلمةٍ قالوها في غزوة تبوكَ على وجه المَزْح واللَّعب = تبيَّن لك أنَّ الَّذي يتكلَّم بالكفر أو يعمل به - خوفًا مِن نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراةً لأحدٍ - أعظمُ ممَّن يتكلَّم بكلمةٍ يمزح بها.

والآية الثَّانية: قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النَّحل:١٠٦].

فلم يَعذُر الله مِن هؤلاء إلَّا مَن أُكرِه مع كون قلبِه مطمئنًّا بالإيمان.

وأمَّا غير هذا: فقد كفرَ بعد إيمانه، سواءٌ فعله خوفًا، أو طمعًا، أو مداراةً لأحدٍ، أو مَشحَّةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعلَه على وجه المَزْح، أو لغير ذلك من الأغراض؛ إلَّا المُكرَه.

والآية تدلُّ على هذا مِن جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النَّحل:١٠٦]؛ فلم يستثن الله إلَّا المُكرَه، ومعلومٌ أنَّ الإنسان لا يُكرَه إلَّا على العمل أو الكلام، وأمَّا عقيدة القلب فلا يُكرَه أحدٌ عليها.

الثَّانية: قوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النَّحل:١٠٧].

فصرَّح أنَّ هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، والجهل، والبغض للدِّين،

أو محبَّة الكفر؛ وإنَّما سببُه أنَّ له في ذلك حظًّا من حظوظ الدُّنيا فآثَرَه على الدِّين، والله أعلم.

## قَالَ الشَّارِحُ وفَّقه الله:

ختم المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابَه بمسألةٍ أشار إليها بالتَّعظيم؛ فقال: (ولْنختِم الكتابَ بذكر مسألةٍ عظيمةٍ مهمَّةٍ تُفهَم بما تقدَّم، ولكن نُفرِد لها الكلامَ؛ لعظم شأنِها، ولكثرة الغلط فيها).

**ثمَّ بيَّن أنَّ التَّوحيد متعلِّقٌ بثلاثة أجزاءٍ**؛ هي (القلب، واللِّسان، والعمل)؛ فلا يكون الرَّجل موحِّدًا حتَّى يجتمع قلبُه ولسانُه وعملُه على الإقرار بالتَّوحيد.

أمَّا مَن أقرَّ بقلبه فقط، أو اعترف بالتَّوحيد بلسانه وفي ظاهر عملِه ولم يُقِرَّ به باطنًا: فإنَّه لا يثبت له توحيده.

وهذه المسألة مبنيَّةٌ على أصلٍ عظيمٍ يعتقده أهل السُّنَّة؛ وهو أنَّ الإيمان دائرٌ على القلب واللِّسان والجوارح؛ فلا يكون العبد مؤمنًا موحِّدًا حتَّى يأتي بما على هذه الآلات كلِّها؛ فيكون إيمانه بقلبِه، ولسانه، وعمله.

ثمَّ حثَّ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على فهم آيتين تدلَّان على أنَّ العبد قد يكفر بسبب كلمةٍ يقولها على وجه اللَّعب والمزاح، وإذا كان يكفر بكلمةٍ يقولها على هذا الوجه، فإنَّه يكفر مَن تكلَّم بالكفر أو عَمِل به (خوفًا مِن نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراةً لأحدٍ)، وحاله (أعظمُ ممَّن يتكلَّم بكلمةٍ يمزح بها).

والعلم بهذا يُوجِب للعبد الحذرَ من الوقوع في شيءٍ من ذلك.

وبيَّن أنَّه لا يخرج العبدُ مِن تَبِعَة تلك الأحوال إلَّا في الإكراه؛ ففي الإكراه يُعذَر العبد دون غيره.

و(**الإكراه**) هو إرغام العبد على ما لا يريد.

و(**المكره**) **له حالان:**

- **إحداهما**: إكراهه مع اطمئنان قلبه بالإيمان؛ وهذا لا شـــيءَ عليه؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النَّحل:١٠٦]؛ فيُكرَه على قولٍ أو عملٍ كفريٍّ رغمًا عنه، ويبقى قلبه مطمئنًّا بالإيمان؛ فيكون معذورًا.

- **والأخرى**: إكراهه مع اطمئنان قلبه بالكفر؛ فيخرج بذلك مِن الإسلام.

ثمَّ نبَّه المصـــنِّف إلى قاعدةٍ عظيمةٍ في قوله: (ومعلومٌ أنَّ الإنســـان لا يُكرَه إلَّا على العمل أو الكلام، وأمَّا عقيدة القلب فلا يُكرَه أحدٌ عليها).

فـ(**المُكرَه عليه**) **له موردان:**

- **أحدهما**: أن يكون في الأقوال والأعمال؛ وهذه يقع الإكراه فيها.

- **والآخر**: أن يكون في عقيدة القلب، ومدَّعيها كاذبٌ؛ لأنَّ العقائد الباطنة لا يمكن الإكراه عليها؛ إذْ لا يطَّلع عليها أحدٌ إلَّا الله، والمُكرِه إنَّما يَعقِل من المُكرَه ظاهرَه.

وهذا آخر البيان على هذا الكتاب بما يناسب المقام.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

تمَّ إقراء الكتاب في مجلسٍ واحدٍ
بعد الفجر يوم الإثنين العشرين من جمادى الأولى
سنة اثنتين وأربعين بعد الأربعمائة والألف
في المسجد النَّبويِّ بمدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ




فَوَائِد



# فَوَائِد



# فَوَائِد



فَوَائِد